



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل -



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات الأجنبية

مذكرة بعنوان:

## الاغتراب في الرواية العربية

"الأشجار واغتيال مرزوق لعبد الرحمن منيف أنموذجا"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي  
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ:

- حليلة بولحية

إعداد الطالبتين:

- يسرى بريوات

- يمينة براح

أعضاء لجنة المناقشة:

- |                    |                        |
|--------------------|------------------------|
| رئيسا .....        | 1 - د.محمد سليمان قارة |
| مشرفا ومقررا ..... | 2 - د.حليلة بولحية     |
| ممتحنا .....       | 3 - أ.عمر بوفاس        |

السنة الجامعية: 1440/1439 هـ

الموافق لـ / 2018/2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شكر و عرفان

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على

الحبيب المصطفى

سيدنا ونبينا وحبیبنا صلی الله علیه وسلم

إن الاعتراف بالجميل لأهل الفضل واجب أكيد

بصدد إنجاز هذا العمل المتواضع نشكر الله سبحانه وتعالى

الذي وفقنا لإتمام هذا العمل وأنارنا بالعلم وأكرمنا

بالتقوى

نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير

والاحترام إلى الأستاذة المشرفة

"حليمة بولحية"

التي صبرت علينا وقدمت لنا كل ما لديها ولم

تبخل علينا بنصائحها القيمة

وإلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد



# مقدمة

طراً على الإنسان في ظل التحولات الصناعية جملة من التغييرات الحضارية، التي تخلق في نفسه تناقضات وصراعات داخلية تمنعه من التأقلم مع الواقع الراهن، مما ينتج عنه بروز عدة ظواهر تنعكس بالسلب على الفرد والمجتمع من بينها الاغتراب.

يتولد الشعور بالغربة داخل المجتمعات بسبب الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية وغيرها والتي تجلت بصورة واضحة في الحالة التي يعيشها الإنسان في المجتمع العربي، فأسباب الغربة والاعتراب ليست وليدة اليوم بل هي متأصلة في المجتمعات البشرية إلا أنها تختلف من مجتمع لآخر، وبالرغم من اختلافها فهي تؤدي في النهاية إلى الاغتراب.

انعكست هذه الظاهرة في الأعمال الأدبية عامة والرواية خاصة، باعتبار أن الأدب مرآة عاكسة للمجتمعات فالرواية أكثر انفتاحاً على الواقع، لأنها تمكن الإنسان من التعبير بطلاقة وحرية عما يجتلي في أفكاره.

ومن بين الروايات التي أجادت تصوير الإنسان المغترب "رواية الأشجار" و"اغتيال مرزوق" التي وقع اختيارنا عليها ليكون عنوان بحثنا الاغتراب في الرواية العربية.

لذا سعينا في هذا الموضوع إلى الكشف عن الأسباب التي أدت إلى وجود ظاهرة الاغتراب في المجتمعات العربية، وإبراز الآثار المترتبة عن هذه الظاهرة.

وفي اختيارنا لهذا الموضوع انصب اهتمامنا على اعتبارات عدة نذكر منها:

- الاغتراب خاصية مميزة للإنسان قديمة ومتأصلة في وجوده وأن اغتراب الإنسان متعلق بقدرته على الانفصال

عن وجوده الإنساني.

-الاجتراب قضية بالغة الأهمية لكونها أزمة من أزمات الإنسان المعاصر، وأنها تكثر في المجتمعات العربية التي تعاني من عدم الاستقرار والقلق والضيق.

لقد ازداد اهتمام الباحثين بدراسة الاجتراب بوصفه ظاهرة انتشرت بين الأفراد والسبب في ذلك يرجع إلى النمو الصناعي المتزايد، لذا لا بد من دراسة هذه الظاهرة والتعرف على أسبابها ونتائجها وهنا تكمن الإشكالية: كيف عاجلت الرواية العربية ظاهرة الاجتراب؟ ولمعالجتها تطلب منا الأمر التطرق إلى تساؤلات أخرى تفرعت عنها وهي:

- كيف تجلت أنماط الاجتراب في رواية الأشجار واغتيال مرزوق؟.

أما المراجع التي اعتمدها في تنشئة هذا البحث: كتاب الاجتراب في الثقافة العربية لـ"حليم بركات" دراسات في سيكولوجية الاجتراب لـ"عبد اللطيف محمد خليفة"، الاجتراب لـ"فيصل عباس"، بالإضافة إلى كتب مترجمة منها: كتاب الاجتراب لـ"ريتشارد شاخت".

ولكي تتم الإجابة عن الإشكالية قمنا بوضع خطة احتوت مقدمة فصلين وتليهما خاتمة، وقد فصلناها على النحو الآتي:

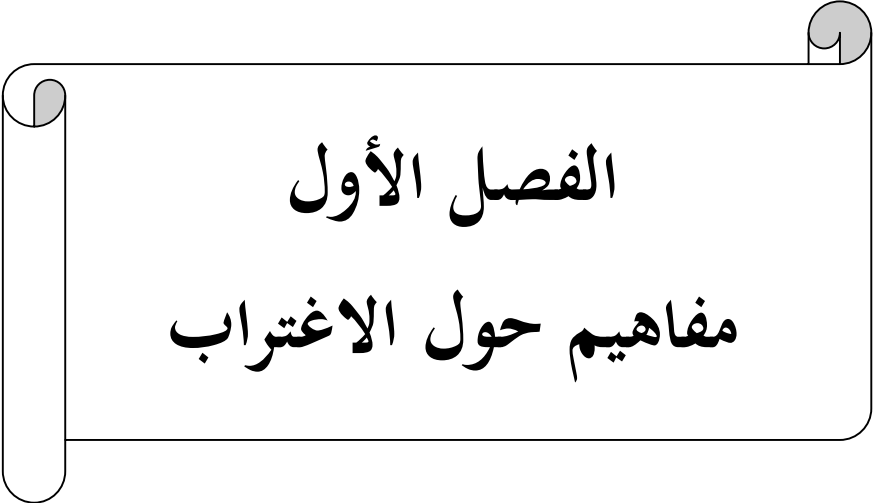
الفصل الأول نظري بعنوان مفاهيم عامة حول الاجتراب تم توزيعه على ثلاثة عناصر، الأول: تعريف الاجتراب لغة اصطلاحاً، أما الثاني: فستتطرق فيه لمظاهر الاجتراب، أما الثالث أنواع الاجتراب.

وخصصنا الفصل الثاني للجانب التطبيقي نحاول فيه إبراز أنماط الاجتراب في الرواية، وأنواعه: الاجتراب الاجتماعي، الاجتراب الديني، الاجتراب النفسي، الاجتراب السياسي، الاجتراب المكاني الاجتراب العاطفي، الاجتراب الثقافي.

الخاتمة عبارة عن حوصلة تضمنت مجموعة من النتائج المتوصل إليها.

وللتحكم في الخطة الموضوعية اعتمدنا على المنهج التاريخي المناسب لهذا النوع من الظواهر كما استفدنا من المنهج الاجتماعي لتحليل الظروف الاجتماعية للشخصية، إلى جانب المنهج النفسي من أجل الإطلاع على نفسية بعض الشخصيات المتأزمة.

ولا يفوتنا أن نوجه شكرنا للدكتورة المشرفة "حليمة بولحية" التي ساعدتنا على تصميم هذا البحث وإلى كل من قدم لنا يد العون، كما نتفضل بالشكر والتقدير إلى اللجنة المختصة لقراءة البحث وتقييمه.



الفصل الأول  
مفاهيم حول الاغتراب



## 1- تعريف الاغتراب:

تعتبر ظاهرة الاغتراب من أبرز الظواهر إنتشاراً في المجتمعات؛ فهي قضية بالغة الأهمية لكونها أزمة من أزمات الإنسان، لذا أصبح من أهم المواضيع التي وقف عندها الباحث وتناولها في بحثه، وذلك راجع إلى طبيعة الاغتراب المتجددة في مختلف العصور، وقد اعتدى هذا المصطلح نوع من الغموض والإبهام واتخذ أشكالاً متباينة بسبب استخداماته المختلفة في جميع نواحي الحياة الاجتماعية السياسية الدينية النفسية والثقافية، لذا تنوعت تعريفاته وتعددت، فما هو إذن مفهوم الاغتراب؟.

## 1-1- لغة:

## أ- في المعاجم العربية:

توجد عديد من القواميس والمعاجم اللغوية التي تطرقت إلى مفهوم الاغتراب منها ما ورد في:

— لسان العرب "لابن منظور":

«التغريب النفي من البلد، وغرب أي بعد، ويقال أغرب عني أي تباعد، ومنه الحديث أنه أمر بتغريب الزاني التغريب، النفي عن البلد الذي وقعت الجناية فيه، يقال أغربته وغربته إذ نحيت وأبعدته. والتغريب: البعد. وفي الحديث أنه رجل قال له: إن امرأتي لا ترد يد لامس، فقال غربها أي أبعدها يريد الطلاق وغربه وغرب عليه تركه بعيداً»<sup>(1)</sup>.

والمقصود من هذا القول هو تغريب الرجل الذي قام بالجنائية ونفيه بعيداً عن وطنه.

<sup>(1)</sup> ابن منظور: لسان العرب، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط 1، 1955، ص 639.

— أساس البلاغة:

يقال: «أغرب الرجل في جريه، والرجل في ضحكه، إذا أكثر منها ستعبر لنا الغربية وهي رحي اليد لا تقرر عند أربابها لكونها متحاورة يقال هذا في المجاز.

و: غ ر ب كفتت من غربه أي من حدّته واقطع عني غرب لسانه، وإني أخاف عليك غرب الشباب...

ورمى فأغرب: أي أبعد المرمى: وتكلم فأغرب: إذ جاء بغرائب الكلام ونوادره وقد غربت هذه الكلمة أي: غمضت فهي غريبة»<sup>(1)</sup>.

— القاموس المحيط "للفيروز أبادي":

«غَرَبَ: غاب، تَعَرَّبَ وَبَعُدَ . وَاغْتَرَبَ: تزوج في غير الأقارب»<sup>(2)</sup>.

جاء الاغتراب في هذا القول بمعنى: الزواج في غير القبيلة والبعد عن الأهل والديار وتغريب النكاح، والغرائب من النساء، أي النساء غير الأقارب وهي غربة إجتماعية.

— العين "للفراهيدي" ورد فيه أن:

«والغربة الاغتراب من الوطن. وغرب فلان عنا يَغْرُبُ غَرْبًا، أي تَنَحَّى، وَأَغْرَبْتُهُ وَغَرَبْتُهُ: أي نُحَيْتُهُ، والغربة

النوى البعيد، يقال: شَتَّتْ بِهْمُ غُرْبُهُ النوى»<sup>(3)</sup>. ويعني الاغتراب في قوله الابتعاد عن الأوطان والنزوح عن الأهل لسبب من الأسباب.

<sup>(1)</sup> الزمخشري: أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998، مادة (غرب).

<sup>(2)</sup> الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط 2، 2008، ص 147.

<sup>(3)</sup> الفراهيدي الخليل بن أحمد: كتاب العين معجم لغوي تراثي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، ط 1، 2004، ص 603.

- نجد المعنى نفسه عند "الزمخشري" يقال: «عَرَبِيَّةٌ: أبعده، وَعَرَبٌ: بَعْدَ وَإِذَا أَمَعَتِ الْكَلَابُ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ قَالُوا: عَرَبْتُ وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: يَا هَذَا عَرَبْتُ شَرِّقًا أَوْ عَرَبْتُ وَ «هل من مُعَرَّبَةٍ خَيْرٍ؟» وهو الذي جاء من بعد»<sup>(1)</sup>.

ذكر "الشافعي" في هذا البيت حول مصطلح الاغتراب والذي جاء بمعنى السفر في قوله:

ما في المَقَامِ الَّذِي عَقَلِ وَذِي أَدَبٍ مِنْ رَاحَةِ فَدَعِ الْأَوْطَانَ وَأَعْتَرِبِ<sup>(2)</sup>

- يشير "البستاني" في محيط المحيط أن الغربة تعني: «المرّة والبعد، ويقال نَوَى غَرِبَةً أَي بَعِيدَةً وَالغَرِبَةُ: النُّزُوحُ عَنِ الْوَطَنِ، وَيُقَالُ: الْغَرِبَةُ عَنِ الْحَالِ أَي: عَنِ حَقِيقَةِ التَّعَوُّدِ فِيهِ»<sup>(3)</sup>.

نخلص من خلال التّعريفات اللغوية إلى أن المعاجم والقواميس التي تناولت مصطلح الاغتراب تصب في معنى واحد هو البعد والنزوح عن الوطن، والاختفاء عن النظر، الذهاب والتخّي عن الناس والتغيب عنهم، وكذلك فراق الأهل والأحبة، وهو يوحي على البعد المكاني لا الزماني، لأنّ المغترب قام بتغيير مسقط رأسه وانتقل من مكان إلى آخر، وابتعد عن بلده الأصلي، كما دلّ على الغربة الاجتماعية كاغتراب الرجل وزواجه في غير أقرابه.

## ب- في اللغة الأجنبية:

نال مصطلح الاغتراب حظاً وافراً من الاهتمام والدراسة سواء عند الغرب أو العرب فكيف ورد فيهما:

<sup>(1)</sup> الزمخشري جار الله محمود بن عمر: أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم، شوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، ط 1، 1998، ص 582.

<sup>(2)</sup> الشافعي: الديوان، تقديم ومراجعة: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ط، د. س، ص 17.

<sup>(3)</sup> بطرس البستاني: محيط المحيط، مج 6، مكتبة لبنان (بيروت)، ط 1، 2009، ص 396.

«إن المقابل للكلمة العربية "اغتراب" هو الكلمة الإنجليزية alienation والكلمة الفرنسية alienation، وفي الألمانية Entfremdung. وقد أُشتقت كل من الكلمة الإنجليزية والفرنسية أصلها من الكلمة اللاتينية alienation، وهي إسم مستمد بدوره من كلمة أخرى هي alienare والذي يعني نقل ملكية شيء ما إلى آخر أو يعني الانتزاع أو الإزالة وهذا الفعل مستمد بدوره من كلمة أخرى هي alienus أي الإلتواء إلى شخص آخر أو التعلق به وهذه الكلمة الأخيرة مستمدة في النهاية من اللفظ alius الذي يدل على الآخر سواء كاسم أو صفة»<sup>(1)</sup> تطرقنا في هذا التعريف إلى مصطلح الاغتراب في ثلاث لغات أجنبية ورأينا أنه يحمل معنى نقل الملكية والسلب والانتزاع والإزالة.

كما يشير الاغتراب في تلك اللغات إلى «حالة تحول الكائن إلى خارج ذاته، أو تجاوز ذاته وقد استخدمت كلمة الاغتراب في العلاقات الإنسانية لتدل على الإحساس بالغرابة أو الإنسلاخ (detachment) سواء عن الذات أو عن الآخرين»<sup>(2)</sup> ونفهم من هذا القول أن مصطلح الاغتراب يحمل معنى العزلة عن الذات حيث يفقد الإنسان ذاته ولا يستطيع التعرف عنها وعن مجتمعه كما دلّ على مصطلح الانسلاخ.

يحمل الاغتراب معاني أخرى «كما يتضمن الاغتراب ما يمكن تسميته «تشيؤ» (reification) العلاقات الإنسانية، أي تحول الموجودات الإنسانية إلى أشياء. وهنا يصبح الإنسان مجرد سلعة، ويفقد سمته المتعالية كإنسان»<sup>(3)</sup> ويقصد به تحول الكائنات والموجودات إلى أشياء أي أن الشخص يصبح عبداً للأشياء فاقداً بذلك حرّيته وقيّمته الإنسانية، فيتحوّل من كائن له قراراته وآراؤه ومميزاته إلى مجرد شيء.

<sup>(1)</sup> فيصل عباس: اغتراب الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، بيروت (لبنان)، ط 1، 2008، ص 19.

<sup>(2)</sup> يحيى الجبوري: الحنين والغرابة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، ط 1، 2008، ص 16.

<sup>(3)</sup> فيصل عباس: اغتراب الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، ص 20.

يمكن إرجاع عدم الاستقرار في ترجمة المصطلح إلى تعدد تسمياته حتى في الثقافة الغربية والذي يعود بدوره إلى تعدد جذور المفهوم اللغوي. وفي إطار المقارنة بين استخدامات المعجم العربي والمعجم الغربي، ففي اللغة الأجنبية تضمنت معنى انتقال الملكية وتحويل حقوق الأفراد إلى الغير، والعزلة التي هي مكون من مكونات الاغتراب ويقابله في اللغة العربية الغربية المكانية والاجتماعية.

### ج- في القرآن الكريم والسنة:

عادة ما يجد الإنسان نفسه مع أناس لا يواكبونه فكريا فيغترب عنهم، أو روحيا فيعترتهم مثل ما ورد في القرآن الكريم:

إبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه روحيا: ﴿وَأَعْتَزَلْتُمُومًا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (1).

وأيضاً قصة موسى عليه السلام: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْتَزَلُونِ﴾ (2).

أما في سورة هود فجاءت لتبين حال الغرباء: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةِ يَبَّوْتٍ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (3) فهي تؤكد على القلة القليلة التي تقوم بالإصلاح وتخالف المفاهيم الشعبية المغلوطة السائدة التي تراكت عبر العصور، فالغرباء هم الذين يقومون بهذا الإصلاح فهم بإصلاحهم يبدون غرباء ويشعرون بغربة فكرية، ويعيشون بين الناس في عالم مختلف عن عالمهم من الناحية الفكرية والروحية.

(1) سورة مريم: الآية 48.

(2) سورة الدخان: الآية 21.

(3) سورة هود: الآية 116.

ومن المصطلحات التي تدل على الاغتراب:

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾<sup>(1)</sup>.

ونجد أيضا: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ مَا وَكَلَّيْتُمْ عَنِ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(2)</sup>.

يقول عز وجل: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

هذه الآيات في مجملها تدل على أن الإنسان ينتقل بين عاملين (المشرق والمغرب) ويتجه إلى كل منهما،

وهنا نجد المقابلة بين الشرق (الأهل والأحبة) والغرب (البعد والهجرة).

وأیضا يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾<sup>(4)</sup>، فالقصد إلى

المشرق والمغرب والهجرة في الأرض تعني الاغتراب بعينه.

\* أما السنة فقد وردت فيها أحاديث كثيرة تتحدث عن الغربة والغرباء منها:

«قوله (صلى الله عليه وسلم): (بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء). قيل ومن الغرباء قال:

(النزاع من القبائل)، [رواه ابن ماجه والدرامي وأحمد] وفي رواية (بدأ الإسلام غريبا ثم يعود غريبا كما بدأ فطوبى

للغرباء)، قيل يا رسول الله ومن الغرباء قال: (الذين يصلحون إذا فسد الناس) [رواه أحمد]، وفي رواية: (إن

(1) سورة البقرة: الآية 115.

(2) سورة البقرة: الآية 142.

(3) سورة الشعراء: الآية 28.

(4) سورة النساء: الآية 100.

الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، وهو يزأر بين المسجدين كما تزأر الحية في جحرها) [رواه مسلم] وقيل من الغبراء قال: (أناس صالحون في أناس كثير من يعصيههم أكثر ممن يطيعهم) [رواه أحمد]»<sup>(1)</sup>.

محمل هذه الروايات تدل على معنى واحد، والغريب هو الذي ترك أهله وقبيلته وفر بدينه، وهو غريب لكونه من القلة القليلة الصالحة في الكثرة الفاسدة على مرّ العصور فتشعر القلة بالغرابة عن جملة المجتمع الإسلامي.

\* الاغتراب في الفكر الصوفي: عُرف الاغتراب عند:

– التلمساني (690 هـ): «إن كل من انفرد بوصف شريف دون أبناء جنسه يسمى في اصطلاحهم غريبا»<sup>(2)</sup>.

– ابن قيم الجوزية: «وأما غربة المعرفة فلا يبقى نسبة بينه وبين أبناء جنسه إلا بوجه بعيد، لأنه في شأن والناس في شأن آخر، فغرته غربة الغربة»<sup>(3)</sup>.

– أما الحسن البصري قال: «المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في غرها، للناس حال وله حال، الناس منه في راحة، وهو في نفسه في تعب»<sup>(4)</sup>.

– الهروي (481 هـ): «الاغتراب أمر يشار به إلى الإنفراد عن الأكفاء كما قسم الغربة إلى ثلاث درجات وهي:

الأولى: غربة عن الأوطان.

(1) محمود سليم هياجنة: الاغتراب في القصيدة الجاهلية (دراسة نصية)، دار الكتاب الثقافي، الأردن (أريد)، د. ط، 2005، ص 29.

(2) التلمساني عفيف الدين سليمان بن علي: منازل السائرين إلى الحق المبين، دار التركي، تونس، د. ط، د. ت، ص 487.

(3) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الجليل، بيروت، ط 1، 1991، ص 217.

(4) المرجع نفسه، ص 221.

والثانية: غربة الحال، وهذا - أي صاحبها- من الغرباء الذين طوبى لهم، وهو رجل صالح في زمان فاسد بين قوم فاسدين، أو عالم بين قوم جاهلين، أو صديق بين قوم منافقين.

والثالثة: غربة الهممة، وهي غربة طلب الحق، وهي غربة العارف، لأن العارف في شاهده غريب، ومصحوبة في شاهده غريب، وموجودة لا يحمله علم أو يظهره وجد، أو يقوم به رسم، أو تطبيقه إشارة أو يشمله إسم غريب فغربة العارف غربة الغربة، لأنه غريب الدنيا والآخرة<sup>(1)</sup>.

نلاحظ مما سبق أنه يوجد إتفاق في القرآن والسنة والصوفية حول معنى الاغتراب، ففي مجملها تدل على القلة القليلة الصالحة من الناس في الكثرة الفاسدة، ويتبين لنا أنه توجد مصطلحات أخرى تحمل المدلول نفسه أو تتقارب مثل: "الغربة" و"التغريب" و"الحنين" وأكد أنه يوجد تداخل بينهم، وبقدر التداخل يوجد بعض الاختلاف.

فالغربة من التغرب «والمغرب: المبعد في البلاد»<sup>(2)</sup>.

والتغريب وتعني «النفي عن البلد، وكلمت التغريب هنا دلت على معنيين هما: غربة مكانية، وغربة إجتماعية»<sup>(3)</sup>.

وهذان المصطلحان يرتبطان مع الاغتراب في المعنى اللغوي وهو الذهاب والتنحي عن الوطن «الغربة هي النزوح والبعد عن الأوطان لأسباب سياسية أو اقتصادية أو إجتماعية أو ثقافية»<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: السبكي تقي الدين: طبقات الشافعية الكبرى، ج5، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413 هـ، ص 141، 242.

(2) ابن منظور: لسان العرب، مج 11، دار صادر بيروت، بيروت (لبنان)، ط 4، 2005، ص 24.

(3) يحيى الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، ص 16، 17.

(4) المرجع نفسه: ص11.



وعلى الرغم من التشابه بينهما إلا أن الفرق يكمن في أن الغربة متصلة بالمكان والانتقال عن الوطن ومن ثم شعور الفرد بالشوق والحنين إلى ذلك المكان وعدم تأقلمه مع البيئة الجديدة، أما الاغتراب له معنى مختلف يدل على اغتراب النفس والروح بكل ما تحمله من نفور وقلق وعدم الانسجام في مجتمعه.

إضافة إلى ذلك فالمصطلحان يخضعان لعاطفة خاصة هي الحنين، أي أن المغترب ينتابه هذا الشعور ويختلج صدره وهو بعيد عن وطنه «إذا كانت الغربة تعني الشقاء والضياع والألم، فإن الحنين (Nostolgie) بكل طاقاته يعني حياة السرور والبهجة والفرح لأنه يجسد لحظة أمل يعيشها الشاعر في ساعة من ليل أو نهار، وإذا كانت الغربة تعني البعد والنوى، فإن الحنين يعني القرب والعودة، تفصل بينهما لحظة زمنية معينة يسبقها الشعور الطاعني بالحنين إلى الوطن والحنين عاطفة سامية أودعها الله في الإنسان منذ الأزل، وهي إحساس وشوق ولولاهما لتعد الإنسان عن آماله ونكص عن نفسه، وكلما طالت مدة الاغتراب كلما زادت شدة الحنين إلى الوطن»<sup>(1)</sup>.

الحنين ظاهرة عامة لم تقتصر على البشر فقط بل شملت حتى الحيوان «وحنن الإبل: نزعته إلى أوطانه أو أولادها، والناقة تحن في إثر ولدها حيننا تطرب مع صوت، وقيل حنينها: نزعها بصوت وبغير صوت»<sup>(2)</sup>.

## 1-2- اصطلاحا:

اتخذ الاغتراب معاني متعددة انطلاقا من المجالات التي وجد فيها، نورد منها ما يلي:

### - الاغتراب في الفلسفة:

وجد التعبير الأول لمفهوم الاغتراب في الفكر الغربي وذلك من خلال تصور العهد القديم للوثنية، حيث أنه يمكن الاطلاع على جذور فكرة هذا المفهوم من خلال كتابات "أفلاطون" و"سقراط".

(1) عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945-1962)، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، د. ط، د. س، ص 18.

(2) عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غرب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة(مصر)، د. ط، 2003، ص 252.

وتشير بعض الدراسات إلى أن الجذور الأولى للاغتراب هي جذور يونانية، "أفلاطون" هو أول من أسس فكرة الاغتراب والذي يعد «أول اغتراب واع، عندما قسم العالم إلى مطلق ووجود، والمطلق هو عالم المثل، والوجود هو عالم الضلال والصور المشوشة، ثم كانت جمهوريته تجسيداً لهذه الفكرة الاغترابية»<sup>(1)</sup> "أفلاطون" كان يطمح إلى إثبات صورة مثالية لمجتمعه التي كان يريد أن يكون عليها لأنه كان غير راضٍ عنه «فقد كان أفلاطون مغتربا بالنسبة لأخلاقيات عصره ومجتمعه، وما اعتبار الواقع ظلا لفكرة كانت تتمحور في ذهنه طول حياته سميت بالمثل إلا تأكيداً على وجود الاغتراب»<sup>(2)</sup>.

ونجد أيضا "سقراط" الذي تحدث عن الاغتراب الذاتي من خلال عبارته الشهيرة "إعرف نفسك" والتي تعد نموذجا حقيقيا لاغتراب الإنسان عن ذاته فهو بعدم إدراكه لماهيته ومعرفته لنفسه يصبح غريبا عنها.

لقد كان الاغتراب في تلك الفترة يعني الجهاد في سبيل فصل الذات الإنسانية عن كافة نواقصها، وجعلها في حالة هوية مع كائن متعالٍ وهو الإله.

ولاحقا وجدت فكرة الاغتراب صداها في أوروبا في العصر الحديث، حيث أستعمل المصطلح في البداية من قبل أصحاب نظرية "العقد الإجتماعي" \* وخير من مثلهم:

"جون جاك روسو" (1712-1778) on jack rousseau: والذي يعد أول من أطلق مصطلح الاغتراب وضمنه معنيين فهو «من أبرز الفلاسفة المحدثين الذين تحدثوا عن فكرة الاغتراب قبل هيجل وفكرة الاغتراب ترد لديه بمعنيين: فهي ترد في كتابه «العقد الإجتماعي» لتعبر عن دلالة إيجابية، وترد في كتاباته

(1) عادل الألوسي: الاغتراب والعبرية، دار الفكر العربي، مصر (القاهرة)، ط 1، 2003، ص 12.

(2) إبراهيم محمود: حول الاغتراب الكافكاوي، مجلة عالم الفكر، ع 2، 1984، ص 80.

\* نظرية العقد الاجتماعي: تقوم على تضحية الإنسان بذاته لصالح الجماعة التي ينتمي إليها، وأصحابها: " توماس هوبر"، "جون لوك"، " جرن جاك روسو".

النقدية للمجتمع الحديث «أطروحة في أصل وأسس اللامساواة بين البشر» لتعبير عن دلالة سلبية»<sup>(1)</sup> جمع روسو بين وجهتين من الاغتراب أولهما إيجابي والذي تمثل في «قيام الفرد بتغريب سيادته على ذاته، وتسليم هذه السيادة إلى الجماعة هو شرط ضروري لوجود الجماعة، وأن بنود العقد الإجتماعي يمكن اختصارها في بند واحد وهو التغريب الكامل من قبل كل عضو مشارك في الجماعة لكافة حقوقه والتنازل عن حريته الطبيعية، وبموجب هذه النظرية تتغرب الحقوق الطبيعية عن هذا الفرد وتنتقل إلى الدولة ويغدو الإنسان الذي كان حرًا مستقلا تابعا للدولة بل وعبدا لها»<sup>(2)</sup>، أي تنازل وتخلي الأفراد عن بعض حقوقهم وحررياتهم للمجتمع بحثا عن الأمن الإجتماعي وبذلك يغترب عنه ويفقد استقلاله ويصبح تابعا للدولة.

ولم يكتفِ روسو بالاتجاه الإيجابي في معنى الاغتراب ولكنه تحدث أيضا عن الاتجاه الثاني السلبي وهو نقيض الأول والذي مضمونه «أي تحول الإنسان إلى سلعة تطرح للبيع في سوق الحياة، أو بمعنى أصح أن يصبح الإنسان شيئا من الأشياء يفقد الإنسان من خلال ذاته وجوده الشرعي الأصيل»<sup>(3)</sup> فالحضارة والمجتمعات الغربية هي التي سلبت الإنسان ذاته وأخذت بالقوة ممتلكاته وجعلته عبدا لمؤسساتها فيصبح بذلك ملكا للدولة أي أن روسو قام بحصر الاتجاه السلبي في سياق التبعية التي تحصل جراء التقدم الحضاري.

أما "هيجل" (1831-1770) **hegel**: فقد أكدت عديد من الكتابات على دوره في بلورة الاستخدام المباشر للمصطلح «على الرغم من استخدام مفهوم الاغتراب قبل هيجل، فإنه يعد أول من استخدم في فلسفته مصطلح الاغتراب استخداما منهجيا مقصودا ومتصلا، حتى أطلق على هيجل "أبو الاغتراب" حيث تحول الاغتراب على يده إلى مصطلح فني»<sup>(4)</sup>.

(1) فيصل عباس: اغتراب الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، ص 28.

(2) سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن 4 هـ، دار الينابيع، دمشق، ط 1، 2000، ص 24.

(3) محمد إبراهيم الفيرمي: ابن ماجة وفلسفة الاغتراب، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1998، ص 62.

(4) عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 21.

وبالتالي فهو يعني عنده «حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فتوظف لصالح غيره بدل أن يسطو هو عليها لصالحه. وبهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية بما فيها تلك التي تهمه وتسهم بتحقيق ذاته وطموحاته»<sup>(1)</sup>.

ومن هذا نفهم أن الاغتراب عنده هو تلك الحالة التي تصيب الإنسان عندما يفقد السيطرة في التحكم في ذاته ويصبح عاجزا عن تحقيقها.

كما يعتبر «أول مفكر يستخدم مصطلح الاغتراب على نحو منهجي ويصل به إلى ازدواجية دلالة المصطلح فهو يرى المعنى الإيجابي الذي يتمثل في تخارج الروح وتجليه على النحو إبداعي... مثلما يرى المعنى السلبي الذي يتمثل في عدم قدرة الذات في التعرف على ذاتها في مخلوقاتها من الأشياء والموضوعات»<sup>(2)</sup> فالاغتراب عنده مزدوج المعنى «سلي بمعنى (الانفصال) والثاني إيجابي بمعنى (التسليم). ويقصد بالمعنى الأول بأن الفرد لديه انتماء فوري وتلقائي للإتحاد بما يسميه (البنية الاجتماعية)، لكن هناك ظروف وصراعات توقف من اندماج الفرد العفوي إلى البنية الاجتماعية مما يجعل له وجودا مستقلا وعلى الرغم من إيجابية هذا الاستقلال لتحقيق الطبيعة الجوهرية للفرد إلا أن الاستغراق في الاستقلال الذاتي عن البنية الاجتماعية قد يؤدي إلى تنافر حيالها، وبالتالي الانفصال عنها حين ينظر إليها على أنها شيء مستقل وغريب عن ذاته، فينشأ بذلك ما يعرف الاغتراب السلبي والمعنى الإيجابي هو التسليم والتخلي الذي أدى إلى قهر الاغتراب الأول حسب "هيغل" وذلك عن طريق توقف الفرد عن استقلالية ذاته وتأكيدا وإعادة اندماجه وتوحيده مع البنية بالتسليم أو التخلي عن ذاته الطبيعية

(1) حلیم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان)، ط 1، 2007، ص 37، 38.

(2) فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، ط 1، 1991، ص (ب. ث) من المدخل.

الجمهورية لصالح البنية الاجتماعية»<sup>(1)</sup>. فالإيجابي تمثل في تنازل الفرد وتضحيته في سبيل خدمة المجتمع أم السلبي تمثل في طغيان الماديات على الجانب الإنساني.

حمل الاغتراب عند كل من "روسو" و"هيجل" دلالات إيجابية وسلبية ففكرة "هيجل" عن الاغتراب الإيجابي تبدو مماثلة إلى حد كبير لفكرة «العقد الإجتماعي».

"لودويغ فيورباخ" (1798-1851) ludwig feur bach: هو أحد تلامذة "هيجل" أعطى هو

الآخر مفهوم للاغتراب الذي حصره بالجانب الديني « أن الدين هو نوع من اغتراب الإنسان عن نفسه أي الاغتراب الذاتي بذلك يتصرف الإنسان واضعا نفسه تحت سيطرة مخلوقاته التي قد تتحكم به بدلا من أن يتحكم هو بها، فيتحول الخالق إلى مخلوق. بهذا يعكس الإنسان أفضل ما في نفسه من صفات وما لديه من قيم على الألوهة، فيصبح الإله صورة للكمال، ويتحول الإنسان إلى مثال للخطيئة والشر»<sup>(2)</sup> فالإنسان في رأيه يغترب لأنه يعكس أفضل ما في نفسه على شيء خارجي ثم يعبد هذا الشيء، حيث «انتقد الدين في كتابه جوهر المسيحية، واعتبره نتاجا إنسانيا محضاً، فرأى أن الإنسان لما تملكه الخوف من المخاطر التي تهدق به، لجأ إلى قوة وهمية من صنيعته، تتجاوز الطبيعة وقوتها وأضفى عليها كل صفات الكمال»<sup>(3)</sup> فهو يرى أن الدين من صنع الإنسان، فحتى يقي نفسه من المطبات التي تواجهه يلجأ إلى قوة وهمية تتكفل بحمايته؛ أي إختلاق قوة أكبر منه وهو ما يسمى "بالله".

"كارل ماركس" (1818-1883) karl marx: من أبرز المفكرين الذين اهتموا بتناول الاغتراب فقد

تأثر بكل ما جاء به "هيجل" لكنه أعطى الأولوية للاغتراب الاقتصادي دون غيره وقام باستبدال النظرة

<sup>(1)</sup> ينظر: شاخت: الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ط، 1980، ص 97-107.

<sup>(2)</sup> حلیم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، ص 38.

<sup>(3)</sup> نعيمة وابل: الاغتراب عند كارل ماركس (دراسة تحليلية نقدية)، كنوز الحكمة، الأبيار (الجزائر)، 2013، ص 24.

الازدواجية بالنظرة الأحادية «يتوحد المعنيان اللذان استخدمهما هيجل للاغتراب عند ماركس، من منطق سلبي فقط»<sup>(1)</sup> أي التركيز على معنى واحد وهو المعنى السلبي، فحصره في أربعة جوانب وهي:

أ- «اغتراب العامل في علاقته بمنتجاته.

ب- اغتراب العامل عن عمله بالذات في المجتمعات الرأسمالية.

ت- اغتراب العامل في المجتمع الرأسمالي عن الطبيعة نفسها التي هو جزء منها.

ث- اغتراب الإنسان عن منتجاته وعمله وطبيعته ونفسه فإنه يغترب أيضا في علاقته مع الإنسان الآخر»<sup>(2)</sup>

فماركس ركز في نظريته على اغتراب العامل ووضع العامل في النظام الرأسمالي فالعامل فيه يغترب عما

ينتجه، لأن الإنتاج ليس لإشباع الحاجات الإنسانية وإنما لزيادة رأس المال.

"إميل دور كايم" (1858-1917) durkheim: من الفلاسفة الوجوديين الذين خصصوا مساحات

واسعة في مؤلفاتهم لهاته الظاهرة الذي يرى أن جوهره حالة الأنومي (Anomie) «يشير هذا المصطلح إلى

حالة تدهور المعايير التي تضبط العلاقات الاجتماعية، فتنشأ عن ذلك أزمت حادة بين عدة فئات متنافسة

أو متناحرة، مما يهدد الإحساس بأهمية التضحية في سبيل المجموع إذ تستعمل الفئات القوية وسائل غير عادلة

في فرض إرادتها على الفئات الضعيفة مما يهدد التماسك الاجتماعي بالوصول حتى إلى درجة التفسح

والنزاع»<sup>(3)</sup> نتيجة للخلل الموجود في المعايير الاجتماعية يصعب التحكم في رغبات الإنسان وضبطها فيجد

الفرد نفسه غير قادر على التوافق مع المتغيرات الاجتماعية فيحدث بذلك الاغتراب.

<sup>(1)</sup> حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، ص 22.

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه، ص 40.

<sup>(3)</sup> المرجع نفسه، ص 44.

"جون بول سارتر" (1905-1980) j'ou paul sartre : والذي استخدم مصطلح الاغتراب «فيما يتعلق بظاهرة معايشة المرء لذاته على نحو ما تنظر إليه ذات الآخر، أي كموضوع. إن المرء يسلب نقاء ذاتيته من خلال الوعي بوجوده كموضوع بالنسبة لآخر له كذلك سمة «الذات»، وإن بعد الموضوعية الخاص بالمرء الذي يصبح واعيا به على هذا النحو هو موضوع غريب بالنسبة له باعتباره ذاتا»<sup>(1)</sup> فالإنسان يصبح غريبا عن ذاته بفعل الصورة التي يعكسها الآخر عنه والتي لا تكون متطابقة مع صورة ذاته التي يحمله.

كما عالج "سارتر" اغتراب الذات من خلال «معايشة الفرد لذات أخرى غريبة عنه هي تلك الذات التي تفرضها نظرة الآخر، لذلك فإن الاغتراب عن الذات يتضمن وعيا مؤلما بغياب الذاتية الحق للفرد. وهكذا فإن المعايشة الذاتية للجسد ومعايشته على نحو ما يعرفه الآخرون تكشفان بعدين «أنطولوجيين» مختلفين وأساسيين بصورة متساوية من أبعاد الوجود الإنساني. أن الاغتراب الذي يتحدث عنه سارتر يطرح باعتباره يواجهنا لا بتناقض يتعين التغلب عليه، وإنما بحقيقة حول أنفسنا يتعين علينا إقرارها»<sup>(2)</sup> "فسارتر" أوضح بعدا آخر في الاغتراب ألا وهو اغتراب الذات.

تعددت الاتجاهات الفكرية التي تناولت مفهوم الاغتراب عبر العصور وكذا الأوضاع والظروف، فتنوع بين

اغتراب أخلاقي، سياسي، ديني، اقتصادي، وطني، نفسي.

<sup>(1)</sup> فيصل عباس: اغتراب الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، ص 273.

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه، ص 273.

## 1-4- الاغتراب في الأدب:

## أ- الرواية:

تمحورت ظاهرة الاغتراب في الأعمال الأدبية عامة والرواية خاصة، لأن الرواية أكثر تجسيدا للواقع وبالتالي أكثر تعبير وتمثيلا للاغتراب. فكيف صورت الرواية ظاهرة الاغتراب؟

نجد روايات متعددة تناولت موضوع الاغتراب وتطرت إليه من عدة جوانب، فهناك من ربطها بالحالة النفسية وهناك من ربطها بالحالة الاجتماعية، فكل حسب الظروف التي عايشها، لذا سنتعرض لبعض الروايات التي تناولت الاغتراب:

رواية "عصفور من الشرق" "لتوفيق حكيم" (1938)<sup>(1)</sup>: التي تحمل في طياتها نوعين من الاغتراب إغتراب مكاني ونفسي، وأيضا توجد شخصيات رئيسية وهي محسن وسوزي ومحسن هو بطل الرواية، حيث بدأ التعارف بينهما بمداومة ذهاب محسن إلى المقهى المقابلة للمسرح الذي تعمل فيه سوزي، كما تناول في روايته مجريات أحداث حياته في باريس حيث أن محسن قام بنقل عادات وتقاليد المجتمع الشرقي إلى باريس وهذه القيم والعادات الشرقية مخالفة للبيئة الغربية، أما بالنسبة للاغتراب الذي تم تجسيده في الرواية فهو متعلق بالبطل محسن الذي انتقل من البيئة الشرقية (مصر) إلى البيئة الغربية (باريس) فوجد نفسه أمام واقع مادي تسوده الأنانية مبني على المنفعة والمصالح، فالمبادئ السائدة في الغرب لم تكن مألوفة لدى محسن مما أعاق اندماجه في المجتمع الفرنسي وهذا ما جعله مغتربا نفسيا ودفع به للعودة إلى بلده الأصلي.

(1) ينظر: توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، د.ب، ط1، 1938.



رواية "ليون الإفريقي" "لأمين معلوف" (1986)<sup>(1)</sup>: تدور أحداثها حول إنسان أجنبي أتى من أوروبا إلى إفريقيا الشمالية في القرن 16، وبطل هاته الرواية ذو أصول إسبانية، عربي الأصل إسمه حسن الوزان درس في المغرب، وبعدها عاد إلى الأندلس، ومن الأندلس أرسل كدبلوماسي إلى شمال إفريقيا ثم أُطلق عليه إسم ليون الإفريقي من طرف البابا ليون العاشر، لأنه كان مقرباً إلى الديانة المسيحية أو مثقفاً بالثقافة المسيحية، عُرف بكتابه الضخم "وصف إفريقيا" أهم مرجع في معرفة إفريقيا في القرن 16.

تحمل هاته الرواية نوعين من الاغتراب: الاغتراب الأول اغتراب مكاني لأن البطل شخص أوروبي ذهب إلى إفريقيا وانتقل بين صفتين مختلفتين، والغربة الثانية هي غربة دينية.

رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" "للطيب صالح" (1987)<sup>(2)</sup>: تدور أحداث هذه الرواية حول انتقال البطل "مصطفى سعيد" من الحياة البدائية في السودان إلى حياة التحضر بريطانيا وسرعان ما تأقلم بالمحيط الجديد خاصة فيما يتعلق بالنساء، كما أن بطل الرواية لاحظ الفروق الموجودة بين المجتمعين وقام بتقمص عدة شخصيات لإيقاع الفتيات البريطانيات في شباكه وإقامة علاقات غير شرعية وبسبب طيشه تم زجه في السجن وبعدها عاد إلى بلاده وهو غير ساخط على القيم والمبادئ الغربية، على خلاف غيره من الناقمين لأسلوب الحياة في الدول الأوروبية، ف"الطيب صالح" ذكر في هذه الرواية أن البطل مصطفى سعيد عاش غربة مكانية بسبب انتقاله من وطنه الأصلي إلى بريطانيا، وغربة اجتماعية اتضح في تأقلمه مع المجتمع الغربي.

رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" "لعمارة لخص" (2013)<sup>(3)</sup>: غادر أحمد الجزائر بعد مقتل حبيبته "بهجة" على يد الإرهابيين، حيث كانت إيطاليا منفاه الاختياري، أين يداوى من دماء الوطن وآلام الحجر، وهناك قرر نسيان هويته الجزائرية وتغييبها، وغير اسمه من أحمد إلى أميديو بعد زواجه من "إستيغانيا" كانت

(1) ينظر: أمين معلوف: ليون الإفريقي، ترجمة: عفيف مشقية، دار الفارابي، بيروت (لبنان)، ط 1، 1990.

(2) ينظر: الطيب صالح: موسم الهجرة للشمال، دار العودة، بيروت (لبنان)، ط 14، 1987.

(3) ينظر: عمارة لخص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، الدار العربية للعلوم، منشورات، الجزائر، ط 2، 2013.

إيطاليا بالنسبة له الثقافة واللغة وشوارع روما كلها بلسما يداوي به من جراح الوطن الذي لا يذكره سوى بالموت والدموع فالظروف التي دفعت بأحمد إلى مغادرة بلاده هي العشرية السوداء التي مرت بها الجزائر.

تحمل الرواية معاني متعددة ودلالات مختلفة للاغتراب، فمعظمها تحكي عن واقع الأديب من ظروف وأوضاع (فقر حرمان، قهر، تسلط) عاشها وأسقطها في روايته وهذه الأوضاع هي التي أدت بالفرد إلى الاغتراب.

### ب- الشعر:

بدأت بواكير الاغتراب في الشعر العربي مند العصر الجاهلي الذي من سماته الوقوف على الأطلال، التي تعتبر من أنواع الاغتراب قد تميز بها شعراء الصعاليك ك: " امرؤ القيس" الذي يقول في مطلع قصيدته:

فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

ترى بعَرَ الآرام في عَرَصَاتِهَا وقيعانها كأنه حبُّ فلفل<sup>(1)</sup>

اهتم الشاعر وغيره بالحديث عن حياة التنقل والترحال التي كان يعيشها العربي البدوي، كما كان يجوب مختلف بقاع الأرض، لكن فكره يبقى متعلق بذكريات الوطن السابق وحنينه المستمر والدائم له.

كما عبر الشاعر الجاهلي عن رفضه الدائم للغربة، وما يعانیه من فراق الوطن والأحبة حيث نجد "النابغة الديباني" يقول في هذا الصدد:

أفد الترحل، غير أن ركابنا لَمَّا تزل برحالنا، وكأن قد

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذلك خبرنا العُراب الأسود

<sup>(1)</sup> ديوان امرؤ القيس: اعنى به وشرحه عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت (لبنان)، ط 4، 2004، ص 21، 22.



فهل فيك من ماء المعرّة قطرة      تغيت به ضمأن ليس بسال

ويقول أيضا:

وردنا ماء دجلة خير ماء      وزرنا أشرف الشجر النخيلا

وزلنا بالغيليل وما اشتفينا...نا      وغاية كل شيء أن يزولا

ولو لم ألق غيرك في إغترابي      لكان لقاءك الحظ الجزيبا<sup>(1)</sup>

نلاحظ مما سبق أن البيئة الجاهلية كانت قريبة من الجو العام الذي كان يحمل في داخله بدور الغربة.

وجدت ظاهرة الاغتراب منذ القديم واستمرت حتى العصر الحديث، حيث نجد معظم الشعراء المحدثين وظفوا ظاهرة الاغتراب في أشعارهم؛ فالمجتمعات العربية عانت من ويلات الاستعمار، وهذا الاستعمار خلف للشاعر الاغتراب النفسي، فأصبح يشعر بأنه غريب وهو في دياره وبين أفراد مجتمعه، أما المكاني فهو الذي دفع بالشاعر للانتقال من مكان لآخر للبحث عن حياة أفضل، ومن رواد الشعر الحر الدين عبروا عن الغربة في شعرهم "بدر شاكر السياب" الذي يقول:

في ليالي الخريف الطوال

آه لو تعلمين

كيف تطغى علي الآسى والملال!؟

في ضلوعي ظلام القبور السجين

<sup>(1)</sup> عبد القادر توزان: الشعور بالاغتراب عند أبي العلاء المعري وأبير كاموا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الدراسات الأدبية المقارنة،

إشراف: الطاهر حجار، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها، 2005، 2006، ص 41.

بالتراب الذي كان أُمي الغدا

سوف يأتي، فلا تقلقي بالنحيب

عالم الموت حيث السكون الرهيب<sup>(1)</sup>

عبر الشاعر عن حالته بعد وفاة أمه وهو لا يزال طفلاً، حيث فقد بذلك كل مصدر للحنان فبدأ شعوره

الرهب بالغرابة في بيت أبيه، وأصبحت حياته بعد أمه خريف طويل الليالي.

ولم تقتصر الغربة عند "بدر شاكر السياب" على الحالة النفسية والمكانية فقط، بل تطرق كذلك إلى الغربة

السياسية والاجتماعية.

و من الشعراء الذين عبروا عن الغربة والحالات النفسية الناتجة عنها نجد "نازك الملائكة":

أيها الموت وقفة قبل أن تغري بجسمي سكونك الأبدية

آه دعني أملاً عيوني من الأنوار وارحم فؤادي الشاعر<sup>(2)</sup>

تحدثت الشاعرة في هذه الأبيات على الموت ومصيرها المجهول وهي معتبرة الموت إغتراباً أبدياً.

ويقول "عبد الوهاب البياتي" في غربته الاجتماعية:

لم اصطنع حبا كهذا القطيع ولم أبع في السوق الحاني

ولم أقل هذا ملاك وديع ولم أقل هذا من الجان

عصرت خمري من كروم الربيع فليشرب العشاق من حان<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> بدر شاكر السياب: ديوان، دار العودة، بيروت (لبنان)، د ط، 2016، ص 98.

<sup>(2)</sup> محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ب، د.ط، 1999، ص 12.

<sup>(3)</sup> المرجع نفسه، ص 13.

تكمن الغربة الاجتماعية عند "البياتي" من خلال هذه الأبيات، في التعالي على غيره والاعتزال عنهم ومن بين الشعراء الذين امتاز شعرهم بمظاهر الاغتراب، نجد "بلند الحيدري" حيث يقول في نضه (من يدري يا بغداد)

قد نغضب

قد يغترب الواحد منا في الثاني

قد نشعر إنا منبودان

في أكثر من زمن ومكان

في غير سؤال... في غير عتاب... في غير دم قان

يتسلل بين شقوق دروب حققت<sup>(1)</sup>

نفهم من خلال هذه الأبيات أن الشاعر يصور حالة اللاإستقرار الذي يعيشه في بلده بغداد، على الرغم مما يحمله من حب وذكريات له، وبعدها أصبح مكانا غير مألوف بسبب الواقع السياسي والقهر والاضطهاد الفكري والجسدي وهذا ما سبب الاغتراب للشاعر وللبلاد معًا.

ومن الذين صوروا ظاهرة الاغتراب "صلاح عبد الصبور" قد تحدث في شعره عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها الأمة العربية في تلك الفترة، وجل أشعار "صلاح عبد الصبور" تطغى عليها ملامح الحزن واليأس والكآبة لأنها نقل صادق للواقع المعيش يقول:

هناك شيء في نفوسنا حزين

قد يختفي ولا يبين

(1) معتز قصي ياسين: الاغتراب في شعر أحمد مطر، مجلة دراسات البصرة، ع 14، 2012، ص 27.

لكنه مكنون

شيءٌ غريبٌ... غامضٌ... حنونٌ<sup>(1)</sup>

عبر الشعراء الرواد عن مواقفهم الراضية كلا حسب طريقتهم الخاصة، واغترابهم لم يكن واحداً بل اتخذ عدة أنماط منها الاغتراب (الإجتماعي، السياسي، الروحي، العاطفي، المكاني).

ومن بين الأسباب التي دفعت الشاعر إلى الكتابة عدم القدرة على التكيف مع المجتمع والواقع بسبب تغيراته وضغوطه وحروبه فلجأ الشاعر للكتابة للتعبير عن الحرية المأخوذة منه وأيضاً البحث عن ذاته الضائعة بين الحلم والواقع المرير وتخليه عن المشاركة والانفعال مع أفراد المجتمع، كان الشاعر قديماً يقف على ظاهرة البكاء على الأطلال أما الشاعر في العصر الحديث فلا يقف على ظاهرة محددة، بل يفقد القدرة على الاندماج والتواصل ومع المجتمع وتجسيد معاناته في أعماله الأدبية.

## 1-5- الاغتراب في علم النفس:

يصعب تحديد مفهوم واحد للاغتراب النفسي نظراً لتداخله مع الأنواع الأخرى، فهو يعتبر أساساً أو أصل كل اغتراب.

ويقصد بالاغتراب النفسي استسلام الفرد وانعزاله وتقوقعه على ذاته وانكفائه بها «وليس غريباً أن يشعر المرء-والحال كذا- بالضياع وقسوة الوحدة النفسية والإحساس بالعجز والحيرة فينكفي على (الذات) ويتخذها محورا لحياته كلها، وذلك لما انتابه من تمزق داخلي وألم نفسي عندما تتسرب بواعث الغربة إلى روحه وتسري في كيانه

<sup>(1)</sup> أمينة بوعلامات: الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث في الفترة (1925-1980)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري

الحديث، إشراف: محمد مهداوي جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، تلمسان (الجزائر)، 2010، ص 104.

حتى ليكاد المرء أن يصير غريبا عن كل ما يحيط به، إما لعدم استطاعته تحقيق طموحات الذات المستترة أو لضعف القدرة على مواجهة الضغوط الخارجية»<sup>(1)</sup>.

تم تناول الاغتراب النفسي من طرف عدة باحثين، حيث اختلف مفهومه من باحث إلى آخر، يرى الباحث "محمود رجب" «إن الاغتراب في سياق علم النفس متعلق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية وما يستشعر من غربة في العالم وفتور وجفاء في علاقاته مع الآخرين»<sup>(2)</sup>، وفي معنى قوله أن الاغتراب النفسي هو مجموع الاضطرابات التي يعاني منها المغترب سواء كانت نفسية أو عقلية والتي بسببها يصبح عاجزا عن التواصل مع أفراد مجتمعه.

ونجد بعض الباحثين يعرف الاغتراب بأنه «شعور الفرد بالوحدة أو الغربة، وانعدام علاقات المحبة أو الصداقة مع الآخرين من الناس، وهو حالة كون الأشخاص والمواقف المألوفة تبدو غريبة»<sup>(3)</sup>، فالمشاعر والأحاسيس المغتربة تنمو نتيجة عدم قدرة الأفراد على نسج علاقات مع الغير.

ويعد "سيغموند فرويد" (1856-1939) **freud** : من أبرز علماء النفس ومؤسسي مدرسة التحليل النفسي الذين ناقشوا هذه الظاهرة، حصر "فرويد" الغرائز الفطرية للإنسان في ثلاثة عناصر واستخدم مصطلحات علمية دقيقة تدل عليها وهي "الهو"، "الأنا"، و"الأنا الأعلى" «موضحا أن اغتراب الهو، يقصد به سلب حريته وذلك لأن حرية الهو تعني وقوع الأنا تحت ضغط الأنا الأعلى والواقع الاجتماعي، أما اغتراب الأنا يرتبط بسبب حريته في إصدار حكمه فيما يتعلق بالسماح للرغبات الغريزية بالإشباع من ناحية، وسلب معرفته بالواقع وسلطة

<sup>(1)</sup> علي عبد الخالق علي: ظاهرة الاغتراب وصددها في الشعر المعاصر في منطقة الخليج، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، عدد 07، 1995، ص 97.

<sup>(2)</sup> معتز قصي ياسين: الاغتراب في شعر أحمد مطر، ص 49.

<sup>(3)</sup> كمال الدسوقي: ذخيرة علوم النفس، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988، ص 77.



الماضي (الأنا الأعلى) في حالة السماح لهذه الرغبات بالإشباع من ناحية... أما اغتراب الأنا الأعلى يتمثل في فقدان السيطرة على الأنا...»<sup>(1)</sup>.

كما ركز "فرويد" اهتمامه على مفهوم "الشعور" و"اللاشعور" «وباستخدام طريقة التداعي الحر free association توصل فرويد إلى أن اغتراب الشعور أو الوعي يحدث إذا بدأت الأسباب التي تجعل تذكر بعض الحوادث والتجارب الشخصية السابقة أمرًا صعبًا لأن معظمها مؤلم وهذا ما أدى إلى نسيانها، فالوعي يغترب عن حقيقة التجارب الشخصية والأحداث الماضية نتيجة لسلب حرية اللاشعور من التداعي الحر. أما في حالة اللاشعور فإن الرغبة المكبوتة تبدأ حياة جديدة شاذة في اللاشعور، وتظل تبحث عن مخرج لانطلاق طاقتها المحبوسة التي تواجهها عوامل القمع والكبت، فيبقى اللاشعور مغتربا عن الشعور مما يؤدي إلى ظهور الأعراض المرضية التي تنتاب المصابين»<sup>(2)</sup>.

نفهم أن اهتمام "فرويد" في عملية التداعي الحر تمحور في الكشف عن الجانب الخفي من النفس فعند معالجة المريض الذي تظهر عليه أعراض المرض حين يتذكر الحوادث المؤلمة في حياته، فتطفو ساحة اللاشعور محاولة إعادة طاقتها وسيطرتها من جديد فتصطدم بعوامل تمنعها ويظل اللاشعور غريبا في الشعور فيقول: «مهمة الطبيب النفسي ليست مجرد دفع المريض إلى التنفيس والتفريغ عن الرغبات المكبوتة، بل هي في المقام الأول سلب الانفصال القائم بين اللاوعي والوعي، والكشف عن الرغبات المكبوتة لإعادتها مرة أخرى إلى دائرة الشعور»<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 24.

<sup>(2)</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 82، 83.

<sup>(3)</sup> المرجع نفسه، ص 83.

ونجد "جون جاك روسو" يعرف الاغتراب الذاتي بأنه «ظاهرة تاريخية تنشأ تحت الفطرة الأصيلة بين البشر حيث النفاق الإجتماعي والتزييف»<sup>(1)</sup>، فروسو هنا يرجع الاغتراب الذاتي إلى الظروف التاريخية.

كما استخدم مصطلح الاغتراب في الكلمة اللاتينية، للدلالة على الحالة النفسية والعقلية «إن المتدبر لمعاني الاغتراب في اللاتينية، يرى أن اللفظة (alienation mentis) تدل على حالة نفسية وعقلية، تتموضع في معاني السرحان والشروذ الذهني وفقدان الحس وغياب الوعي، نتيجة اهتمام الإنسان بأمور معينة اهتماما يبعده عن ذاته وبتيه في نفسه، نتيجة حالات الصرع أو شرب الخمر حيث يذهب بعقله أو نتيجة الجنون والخرف والخبيل»<sup>(2)</sup>.

أما مظاهر الاغتراب فيتفق علماء النفس أن هناك «شعورا سائدا بالألم والحزن واليأس والعجز والعزلة الاجتماعية، ويتميز المغترَب بالقلق والاكتئاب وغالبا ما يكون عدوانيا في سلوكه مع الآخرين، مع إحساس باللاواقعية والفراغ والملل والسأم والسخط، وإلى عدم فعاليته في هذه الحياة، وتتفاعل هذه الأبعاد فيما بينها، وقد يزداد شعور الفرد ببعده أو أكثر من هذه الأبعاد»<sup>(3)</sup>.

وللاغتراب النفسي عدة أسباب قام بتحديدوها علماء النفس، وهي لا تبتعد في مضمونها عن المعنى الذي نجده عند "كينستون" حيث يقول: «أن هناك أسبابا ذاتية وأسبابا موضوعية تؤدي إلى الاغتراب، ويرد الأسباب الذاتية إلى عوامل نفسية ديناميكية تحدث في نمو الفرد، أما الأسباب الموضوعية فهي الظروف المحيطة بالفرد وما يكونها من عوامل حضارية وثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية»<sup>(4)</sup>.

(1) رجب محمود: الاغتراب سيرة ومصطلح، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1993، ص 63.

(2) محمود سليم هياجنة: الاغتراب في القصيدة الجاهلية (دراسة نصية)، ص 17.

(3) فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص 160.

(4) المرجع نفسه، ص (ت) من المدخل.

## 1-6- علم الاجتماع:

يعد من أهم المفاهيم السوسيولوجية التي ارتبطت برواد الحركة الفكرية والتي انعكست رأيهم في تفسير الاغتراب كل حسب تخصصه، حيث نجد عالم الاجتماع الفرنسي "دوركاييم" durkaim الذي استعمل مصطلح «anomie» للتعبير عن الاغتراب وتعيين حالة اللامعيارية على المستوى الاجتماعي، والتي تقوم على فكرة تفكك القيم التي تضبط العلاقات الاجتماعية، ونتيجة للخلل الموجود في المعايير الاجتماعية تفقد بذلك القدرة على السيطرة والتحكم في السلوك الإنساني فيحدث بذلك الاغتراب.

كما عبّر عن الاغتراب بكونه الحالة التي «يشعر فيها الأفراد بالانتماء إلى المجتمع أو الأمة حيث العلاقات الشخصية غير ثابتة وغير مرضية»<sup>(1)</sup>، وغياب العلاقات الإيجابية بين الفرد والمجتمع، وإحساسه العميق بعدم الانتماء لهم مما أدى به إلى الاغتراب.

ويذهب "دوركاييم" أيضا إلى أن «فهم العلاقة بين الذات والموضوع هو المدخل السليم لفهم العملية الاجتماعية للاغتراب، وتعرض لبعض القضايا المتعلقة بالاستبطان من ناحية... والفهم من ناحية أخرى كما فعل بالنسبة لتقسيم العمل الأنومي (فقدان المعايير)، لما في ذلك من أثر على تحرير الفرد ونفي اغترابه المرتبط بسلب المعرفة بالعقل الجمعي»<sup>(2)</sup>.

كما يعرف "ملفين سيمان" هذا النوع من الاغتراب كونه «شعورًا بالغموض أو نوعًا من الرفض للقواعد والتعليمات التي يفرضها المجتمع ويمكن أن تربط بهذا التوقع القول بأن أنماط السلوك غير اجتماعية (لا يوافق عليها المجتمع) يمكن أن تكون ضرورية لتحقيق غايات هامة في حياة الفرد»<sup>(3)</sup>، أي أن الفرد يقوم بممارسة مجموعة من

(1) بسام خليل فرنجية: الاغتراب في أدب حلیم بركات، مجلة فصول، ع 1، 1983، ص 209.

(2) محمود سليم هياجنة: الاغتراب في القصيدة الجاهلية (دراسة نصية)، ص 24.

(3) خير الله عصار: مبادئ علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 180.

السلوكات على الرغم من رفض المحيط لها، وبهذا يؤسس لنفسه كياناً خاص به ومن هنا تحدث قطيعة بين الفرد والمجتمع.

يتولد عن الاغتراب الاجتماعي عدة سلوكات يمكن حصرها فيما يلي:

1. «الانسحاب عن المجتمع (العزلة).

2. الرضوخ له ظاهرياً والنفور منه ضمناً.

3. الثورة عليه والتمرد»<sup>(1)</sup>.

نلاحظ ممّا سبق أنّ مصطلح الاغتراب أستخدم من طرف مفكرين، فلاسفة، علماء الاجتماع، علماء النفس، وفي كل مرة يصطبغ مدلوله بتخصص كل واحد منهم.

## 2- مظاهر وأبعاد الاغتراب:

الاجتراب ظاهرة متعددة الأبعاد؛ أي أنه يتكون من عدة مظاهر كما قام بتحديددها "سيمان ملفين" m.seeman منها: العجز، اللامعنى، اللامعيارية، العزلة الاجتماعية، الاغتراب عن الذات وأيضاً التمرد واللاهدف، فماهي مضامين هذه المظاهر؟.

## 1-2 العجز (power lessness)

من أكثر المظاهر رواجاً في معالجة ظاهرة الاغتراب «وهو شعور الفرد بأن لا حول له ولا قوة ولا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها ويعجز عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته ولا يستطيع أن يقرر مصيره، ومن ثم يعجز عن تحقيق ذاته ويشعر بحالة من الاستسلام والخضوع والعجز وفقدان القدرة على توقع الفرد

<sup>(1)</sup> بسام خليل فرنجية: الاغتراب في أدب حلیم بركات، ص 210.

بأنه لا يملك القدرة على التحكم وممارسة الضغط، لأن الأشياء حوله تسيطر عليها ظروف خارجية أقوى منه<sup>(1)</sup> وهذا الشعور الذي يشعر به المغترب ينتج عنه آثار متعددة، منها فقدان القدرة على تغيير الواقع وكذلك فشله وإحباطه في السيطرة على أموره والتحكم فيها، لأنها تحكمها ظواهر خارجية أقوى من إرادته الذاتية، وهذا ما دفعه للشعور بأن مصيره ليس بيده.

## 2-2- اللامعنى: (meaning tesse)

أما اللامعنى أو فقدان المعنى: «فهو توقع الفرد أنه لن يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك كما يقول (سيمان) فالفرد يغترب عندما لا يكون واضحا لديه ما يجب عليه أن يؤمن به أو يثق فيه، ولذلك يرى الإنسان المغترب أن الحياة لا معنى لها، لأنها تسير وفق منطق غير مفهوم وغير معقول، ومن ثم يعيش حياة التفاهة واللامبالاة»<sup>(2)</sup>. والمقصود باللامعنى أن الإنسان لا يستطيع تسطير أهداف مستقبلية لحياته وبهذا أصبحت مجريات حياته بلا هدف ولا معنى، أي يعيش حياة معدومة الهدف.

ونجد أيضا من بين معانيه «ويشير اللامعنى (فقدان المعنى) إلى شعور الفرد بأنه لا يمتلك مرشدا أو موجهها للسلوك والإعتقاد»<sup>(3)</sup>.

## 2-3- اللامعيارية: (normlessness)

وتسمى الأنوميا: «وهي حالة تصيب المجتمع؛ أي حالة انهيار المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه وهي كما يقول سيمان ملفين: الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أن أشكال السلوك أصبحت مرفوضة اجتماعيا غدت مقبولة اتجاه أية أهداف محددة؛ أي أن الأشياء لم يعد لها أية ضوابط معيارية، ما كان خطرا أصبح صوابا

<sup>(1)</sup> يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، ص 18.

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه، ص 18.

<sup>(3)</sup> عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 37.

وما كان صوابا أصبح ينظر إليه باعتباره خطأ من منطلق إضفاء صبغة الشرعية على المصلحة الذاتية للفرد وحجبها عن معايير وقواعد وقوانين المجتمع»<sup>(1)</sup> والمقصود بهذا هو حالة التفكك التي تصيب المجتمع بسبب انخيار المعايير وتغير القيم الاجتماعية، التي ينجم عنها ظهور الأبعاد اللامعيارية، وهذا ما دفع بالفرد إلى الاغتراب عن الفرد والمجتمع أي عدم الإلتزام بالمعايير السائدة في مجتمعه.

## 2-4- العزلة الاجتماعية: (socialisation)

«يراد بها شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي، والافتقاد إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمة والبعد عن الآخرين حتى وإن وُجدَ بينهم، ويصاحب العزلة بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع، والانفصال بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع ومعاييره، وغالبا ما يستخدم هذا المصطلح عند الحديث عن الاغتراب في وصف وتحليل دور المفكر أو المثقف الذي يغلب عليه بالتجرد وعدم الاندماج النفسي والفكري بالمعايير الشعبية في المجتمع»<sup>(2)</sup>، ويقصد بالعزلة الاجتماعية شعور الفرد بالوحدة والانعزال وعدم الاندماج والانصهار في مجتمعه الذي يعيش فيه والابتعاد عن أفراد، وكذلك إحساسه بعدم الانتماء لوطنه وعدم المشاركة في القرارات التي يتخذها أفراد المجتمع.

## 2-5- الاغتراب عن الذات: (selfeslarangement)

«ويراد به عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه وشعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه، حيث تسير حياة الفرد بلا هدف ويشعر بالاغتراب عندما لا يستطيع التحكم بأفعاله، ويكون سلبيا عندما يستسلم لأفعاله ونتائجها ويشعر أن لا معنى لحياته كما يشعر باغترابه عن ذاته»<sup>(3)</sup>، أي شعور الفرد بأنه غريب عن ذاته

<sup>(1)</sup> يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، ص 18، 19.

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه، ص 19.

<sup>(3)</sup> المرجع نفسه، ص 19، 20.

ومنفصل عنها، وأيضاً فقدان القدرة على الثقة بنفسه وتصبح بذلك شخصيته مضطربة وغير مستقرة وتغلب على أفعاله الفوضى والعشوائية وهذا ما جعله يحول دون تحقيق تطلعاته في الحياة وبهذا تنفصل الذات عن ذاتها ومنتجاتها.

كما تناول "كبير كيجارد" قضية الاغتراب عن الذات «من خلال نقده لضياع الفرد داخل الحشد وفقدانه لتفرده وحرية وانفصال الإنسان عن ذاته أو غايته الأساسية قد نتج عن ارتباطه بعالم غريب يسير على وتيرة واحدة، إن عبودية الإنسان الحديث تحدث بسبب خضوعه للامتثال، وبسبب تخليه عن حرمة الشخصية ليضعها تحت تصرف الآخرين على نحو يؤدي إلى ضياعه في القوة المجهولة أو الجمهور les masse وهكذا فإن الإنسان الحديث عندما يضحى بحريته في مقابل الطمأنينة الزائفة للجمهور فإنه يفقد ذاته كإنسان ويصبح ذاك الفرد الذي لم يعد ينتمي إلى ذاته أو إلى الله، إنه يعي فقط انه ينتمي إلى تجريد يخضع له فكرباً»<sup>(1)</sup>، نفهم من خلال هذا القول أن الاغتراب هو تيه وضياع الفرد داخل الجماعة، وفقدانه لشخصيته وغياب ذاته، وهذا راجع إلى تفرده وغياب حرمة وارتباطه بالآخرين.

في ضوء ما سبق نستنتج أن الأبعاد الخمسة التي حددها "ملفين سيمان" كلها متداخلة ويكتمل بعضها البعض الآخر وكل منها يحدد طبيعة ونوع الاغتراب وما مدى مستوى اغتراب الفرد.

كما توجد مظاهر أخرى مثل التمرد واللاهدف:

## 2-6- التمرد: (rebelliousness)

«ويقصد به شعور الفرد بالبعد عن الواقع، ومحاولته الخروج عن المألوف والشائع، وعدم الانصياع للعادات والتقاليد السائدة، والرفض والكراهية والعداء لكل ما يحيط بالفرد من قيم ومعايير، وقد يكون التمرد على النفس

<sup>(1)</sup> فيصل عباس: الاغتراب الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، ص 258.

أو على المجتمع بما يحتويه من أنظمة ومؤسسات أو على موضوعات وقضايا أخرى»<sup>(1)</sup>، والمقصود من هذا القول إحساس الفرد بالسخط والغضب والرفض والكراهية لكل القيم والمعايير والضوابط المحيطة به، وأيضا عدم الرضا عن نفسه وعن أفراد مجتمعه.

## 2-7- الاهداف:

«ويقصد به شعور المرء بأن حياته تمضي دون وجود هدف أو غاية واضحة ومن ثمة يفقد الهدف من وجوده ومن عمله ونشاطه وفق معنى الاستمرار في الحياة»<sup>(2)</sup>، والمقصود بالاهداف هو شعور الفرد بأن حياته ليس لها معنى ولا هدف ولا جدوى منها وليس له القدرة على التحكم في أحداثها، وهذا النوع يتداخل في معناه مع مظهر آخر وهو اللامعنى.

## 3- أنواع الاغتراب:

الاغتراب ظاهرة إنسانية عرفها الإنسان منذ القدم، فقد تمخضت عن ذاته بسبب الظروف التي عاشها ولا زال، وهي لا تقتصر على جانب واحد بل على جوانب مختلفة ناجمة عن تعدد الأسباب، لذا كان الاغتراب متنوعا ومتعددا. فما هي أنواعه يا ترى؟.

## 3-1 - الاغتراب الإجتماعي:

هو ذلك الشعور الذي يجعل الإنسان يعيش خارج نطاق الجماعة، لأنه عندما يتعرض الفرد للتهميش وعدم الاعتراف به يشعر بأنه منعزل عن مجتمعه ويصعب عليه التكيف مع الأوضاع السائدة، حيث تصيبه خيبة أمل في تحقيق أهدافه ويفقد تفاعله مع أفراد المجتمع، حيث يصبح الفرد متقوقعا على نفسه ولا يقدم خدمة لإفادة

(1) عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 42.

(2) المرجع نفسه، ص 37.



مجتمعه «الغريب هنا هو يجتنب المجتمع وما يشيع فيه من معتقدات وينفصل عن العامة باعتبار أنه من عوامل ضياع ذاته الأصلية»<sup>(1)</sup>.

فالمغترب اجتماعيا ينتقل من مجتمع إلى مجتمع آخر وذلك راجع إلى أسباب وعوامل عدة:

أ- «ضغوط البيئة الاجتماعية والفشل في مواجهة هذه الضغوط.

ب- الثقافة المريضة التي تسود فيها عوامل الهدم والتعقيد.

ج- اضطراب التنشئة الاجتماعية حيث يسود الاضطراب في الأسرة والمدرسة والمجتمع.

د- مشكلة الإقليميات ونقص التفاعل الاجتماعي، الاتجاهات الاجتماعية السالبة والمعاناة من خطر التعصب والفرقة في المعاملة»<sup>(2)</sup>.

كما ينجم عن الاغتراب الاجتماعي غياب القيم النبيلة التي تجعل الإنسان يميل إلى الانسلاخ والانعزال عن المجتمع، وأيضا عند تقييد حريته يؤدي به إلى التمرد على النظام السائد في المجتمع والانفصال عنه وعن الناس وعن القيم والأعراف السائدة، «شعور الفرد بالضعف والعجز إزاء المواقف المصيرية في حياته وشعوره بأن القيم السائدة غير ذات معنى بالنسبة له، أو هو الغريب عن جماعته الاجتماعية وتنظيمات الحياة»<sup>(3)</sup>، فالفرد يحس بالغربة والوحشة وعدم التآلف وأن هناك فجوة بينه وبين أفراد مجتمعه، وأن مصيره في هذا المجتمع مجهول لا يستطيع تحديده.

(1) محمود رجب: الاغتراب سيرة ومصطلح، ص44.

(2) عبده سعيد محمد أحمد الصنعاني: العلاقة بين الاغتراب النفسي وأساليب المعاملة الوالدية لدى الطلبة المعاقين سمعيا في المرحلة الثانوية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم النفس التربوي، إشراف: خديجة أحمد السياغي، جامعة نجر، كلية التربية، قسم التربية الخاصة، 2009، ص 41، 42.

(3) أحمد علي الفلاح: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، ط1، 2013، ص 25.

يصيب الفرد أحيانا إخفاقات كثيرة تحول دون تأقلمه مع أفراد مجتمعه ومن بينها الظروف المادية التي يمر بها وتفشي ظاهرة الفقر والحرمان والجوع حيث نجد أحد الشعراء الصعاليك يقول:

وَمَا نَلْتُهُا حَتَّى تَصْعَلَكُتْ حَقْبَةً      وكَدْتُ لِأَسْبَابِ الْمَنِيَةِ أَعْرَفُ

وحتى رأيتُ الجوعَ بالصيفِ ضَرَّيْني      إذا قمتُ ضِلَالاً فَأَسْدَفُ<sup>(1)</sup>

توضح الأبيات أن ظاهرة الفقر كانت متفشية بشكل كبير وأيضا غياب التضامن والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد وهذا ما جعل الشاعر غريب عن قومه بعيدا عنه.

نلاحظ أن الاغتراب الاجتماعي يكون نتيجة الفقر، العنصرية، الاختلاف الأخلاقي، القيم، العادات والتقاليد.

### 3-2- الاغتراب الديني:

وجد الاغتراب الديني منذ وجود البشرية وكان ذلك بداية مع آدم عليه السلام عند نزوله من الجنة إلى الأرض وذلك بسبب مخالفته لأوامر الله عز وجل وكذلك البحث عن أمنا حواء. يقول "صالح الشربوني":

أَنْفَاحَةَ سِرِّ هَذَا الشَّقَاءِ      وَمِنْ أَجْلِهَا كُلُّ هَذَا الْبَلَاءِ<sup>(2)</sup>

أما ابن عربي (1165-1240) فقد كتب في الفتوحات المكية: «إن أول غربة اغتربناها وجودا حسيا عن وطننا غربتنا عن الوطن القبضة عن الاستشهاد بالربوبية لله علينا، ثم عمرنا بطون الأمهات، فكانت الأرحام وطننا

(1) فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص 100.

(2) صالح الشربوني: الديوان، جمع وتقدم: على أحمد بالكثير، الدار المصرية للطباعة، د.ط، د.ب، ص 26.

فاغتربنا عنها بالولادة»<sup>(1)</sup>.

ورد الاغتراب الديني في كافة الأديان على أنه الانفصال والابتعاد عن الله، فقد جاء الاغتراب في الإسلام على هذه الصورة التي يوضحها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء. قيل ومن الغرباء يا رسول الله، قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس»<sup>(2)</sup> فالغرباء هم فئة قليلة من عباد الله الصالحين ترفعت بنفسها عن شهوات الدنيا وآمنت بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم واستجابت لها.

كما نجد الأنبياء - سلام الله عليهم - كانت تصيهم الغربية أثناء نشر الرسالة التي كلفهم بها الله عز وجل «وفي سعيه - صلى الله عليه وسلم - للتغلب على ما لقيه و قساه من تعذيب قومه و محاربتهم له لأنه يفارق معتقداتهم التي ألفوها - يتوجه متضرعاً إلى الله بالدعاء في قوله: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي و قلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين و أنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري...»<sup>(3)</sup>.

نجد أيضاً سيدنا موسى عليه السلام الذي خرج من مصر وقد فر من طغيان وظلم فرعون ونادى ربه أن ينجيه من البلاء الذي حل عليه حيث قال: «يا رب إني وحيد مريض غريب...فناداه ربه: يا موسى الوحيد من ليس له مثلي أنيس والمريض من ليس له مثلي طبيب والغريب من ليس بيني وبينه معاملة»<sup>(4)</sup>.

(1) عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص32.

(2) المرجع نفسه، ص101.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، مج2، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، لبنان، ط1، ص52.

(4) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، تحقيق: جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، 2001، ص371.

ينقسم الاغتراب في الدين الإسلامي حسب "فتح الله خليفة" إلى ثلاث درجات هي: « اغتراب المسلم بين الناس، اغتراب المؤمن بين المؤمنين، واغتراب العالم بين المؤمنين، فغربة العلماء هي أشد أنواع الاغتراب لقلتهم بين الناس، وقلة مشاركة الناس لهم»<sup>(1)</sup>.

في حين ترى الصوفية أن الاغتراب هو: «عودة الروح إلى عالمها الذي جاءت منه أصلاً، فالروح غريبة في هذا الجسد، وفي هذا العالم وخلاصها في عودتها إلى عالمها»<sup>(2)</sup>.

لم يرتبط الاغتراب الديني بالدين الإسلامي فقط، بل تعداه إلى ديانات أخرى «لقد ورد هذا النوع من الاغتراب في كافة الأديان. ولأن الإيمان عامل مهم لتحقيق الصحة النفسية للأفراد، فإن اغتراب الإنسان يبدو نتيجة حتمية لغياب القيم الروحية، التي يستمدّها من التعاليم الدينية وإحلال القيم المادية التي تحيله مجرد آلة مكانها»<sup>(3)</sup>، فالإنسان اغترب عندما ابتعد عن القيم والمبادئ الدينية وغيرها بالقيم المادية التي تقوم على طمس هويته وذاته، أما معناه في اليهودية والمسيحية «ويعني مصطلح الاغتراب في الحقل الديني المسيحي اغتراب الإنسان عن جوهره، حين طرد آدم من الجنة ونزل إلى الأرض غريباً، وذلك عقوبة له على خطأه»<sup>(4)</sup>.

### 3-3- الاغتراب النفسي:

يسمى أيضاً بالاغتراب عن الذات عند علماء النفس ويكون عند عجز الإنسان عن تحقيق مراده بسبب واقعه المزري، فيهرب بذلك إلى عالم ينشئه لنفسه (عالم لا واقعي) ويطنغى عليه الشعور بالألم والعزلة الاجتماعية كما يعتبر هذا النوع من الاغتراب انسلاخ الفرد عن البنية الاجتماعية، فالمضطرب نفسياً ينطوي ويتعد عن العلاقات الاجتماعية بسبب خوفه من رفض المجتمع الذي ينتمي إليه «فالاغتراب النفسي مفهوم عام وشامل

(1) عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص101.

(2) أشرف علي دعور: الغربة في الشعر الأندلسي، دار النهضة، د. ب، ط1، 2002، ص182.

(3) عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص106، 107.

(4) شلتاغ عبود: في المصطلح الثقافي والتغريب، مجلة آفاق التراث، العدد 33، ص51.

يشير إلى الحالات التي تتعرض فيها وحدة الشخصية للانحطاط أو الضعف، أو الانهيار، بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع، ومما يعني أن الاغتراب يشير إلى النمو المشوه للشخصية الإنسانية، حيث تفقد فيد الشخصية مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة، وتعد حالات الاضطراب النفسي أو التناقضات صورة من صور الأزمة الاغترابية التي تعترى الشخصية<sup>(1)</sup>، يسعى الإنسان إلى إقامة علاقة انسجام مع ذاته، غير أن الظروف الاجتماعية تشكل حاجزا أمام علاقته مع ذاته، وتجعله مضطربا نفسيا، والذي يعاني من الاغتراب النفسي لا يؤمن ببعض القيم الاجتماعية وهذا ما يمنع الانسجام مع أفراد المجتمع، «فالاغتراب مرض تتصل أبعاده بتمزق الذات وانفصالها عن الجماعة وابتعادها عن البشر لعدم توافم معها ، وانشطارها إلى ذاتين: داخلية وخارجية لفقدان التوازن مع النفس والاختلاف بين الذات والجماعة»<sup>(2)</sup> .

ومن الأسباب التي تجعل المغترب يضطرب نفسيا ويعيش في حالة من اللاواقعية والزيغ وفقدانه لما يشعر به:

« - الصراع بين الدوافع والرغبات المتعارضة وبين الحاجات التي لا يمكن إشباعها في وقت واحد مما يؤدي إلى التوتر والانفعال والقلق واضطراب الشخصية.

- الإحباط: حيث تعاق الرغبات الأساسية أو الحوافز أو المصالح الخاصة بالفرد ، ويرتبط الإحباط بالشعور بخيبة الأمل، والفشل والعجز التام والشعور بالقهر وتحقيق الذات .

- الحرمان: حيث تقل الفرصة لتحقيق دوافع أو إشباع الحاجات مثل: الحرمان من الرعاية الوالدية.

- الخبرات الصادمة: وهذه الخبرات تحرك العوامل الأخرى المسببة للاغتراب مثل الحروب»<sup>(3)</sup> .

(1) عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص81.

(2) علي عبد الخالق علي: ظاهرة الاغتراب وصدائها في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج، ص101.

(3) يونس كريمة: الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيف الأكاديمي لدى طلاب الجامعة، دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة مولود معمري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس المدرسي، إشراف : بوكرة فاطمة الزهراء، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو، 2012، ص62.

كما نجد الاغتراب على علاقة مع أنواع أخرى كالاغتراب الإجتماعي « يقرّ كثيرا من الباحثين أن الاغتراب الذاتي أو الاغتراب عن الذات هو الأصل في كل اغتراب وأن هذا النمط من الاغتراب حول الذات قد يؤدي إلى أنماط أخرى كالاغتراب عن المجتمع، والاغتراب بالديني أو بأكثر شمولية الاغتراب عن العالم الموضوعي»<sup>(1)</sup> فالشخص المغترب نفسيا بالضرورة يغترب اجتماعيا سياسيا ودينيا...

أوضح "إريك فروم" في كتابه "المجتمع السوي" «أن المعنى القديم للاغتراب قد استخدم للدلالة على الشخص المجنون، والذي تدل عليه الكلمة الفرنسية Aliene والكلمة الإسبانية Alieno ويذكر فروم أن هذين المصطلحين اللذين يدلان على الشخص السيكوباتي؛ الشخص المغترب عن عقله، ولا تزال الكلمة الانجليزية Alienist تستخدم إلى الآن للدلالة على الطبيب الذي يعالج المرضى الذهانيين»<sup>(2)</sup>. فالمعنى القديم للاغتراب جاء عنده موازيا للمفهوم السيكوباتي؛ أي الشخص المغترب عن عقله.

### 3-4 الاغتراب السياسي:

نتج الاغتراب السياسي عن الظروف التي يعيشها الفرد ولا يستطيع الخروج منها، خاصة أنه ليس لديه صلاحية المشاركة في القرارات السياسية، فيسبب له ذلك عجزا سياسيا «فيقصد بالاغتراب السياسي شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة الإيجابية في الانتخابات السياسية المعبرة بصدق عن رأي الجماهير، وكذلك الشعور بالعزلة عن المشاركة الحقيقية الفعالة في صنع القرارات المصيرية المتعلقة بمصالحه واليأس من المستقبل على اعتبار أن رأيه لا يسمعه أحد وإن سمعه لا يهتم به ولا يأخذ به»<sup>(3)</sup>، فالضغوطات الممارسة من قبل الدولة على الفرد تجعله يستسلم لها وتجعله مغتربا عن ذاته أو يقوم بمواجهتها، حيث يغترب عن السياسة والتي هي جزء من المجتمع وعليه

<sup>(1)</sup> عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 80، 81.

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه، ص 81.

<sup>(3)</sup> المرجع نفسه، ص 97.

فالتطبقات الحاكمة هي التي تسيطر على الأفراد وليس الفرد هو المسيطر، فهو الذي يعمل لحسابها أكثر مما تعمل لخدمته «فالمغترب السياسي حاول جاهدا أن يحقق توازنه عن طريق تحويل نمط السياسة أو السلطة بكل ما أوتي من قوة، فتمسك بذلك بمبادئه وقيمه ومعتقداته، ولقد سعى إلى تغيير مجتمعه بالقول تارة، وبالثورة تارة أخرى وتجسيد ذلك ميدانيا مع ظهور الأحزاب السياسية»<sup>(1)</sup>، ومن بينهم نجد "بدر شاكر السياب" فهو «أكثر الشعراء تحملا لآلام العمل السياسي، فقد طرد خارج وطنه إيران بعد أن فصل عن وظيفته وعاش حالة فقر، ثم في الكويت حيث عاش فترة ذاق فيها ذل الغربة وانكسار النفس ووحشة الروح، وهناك حيث تضيق به سبل العيش ويعيش غربتين نفسية ومكانية»<sup>(2)</sup>. فالشاعر ذاق مرارة الغربة وهي غربة نفسية ومكانية حيث نجده يقول في هذا الصدد:

«الريح تلهثُ بالهجيرة كالجنم على الأصيل

وعلى القلاع تظل تطوي أو تنشر لرحيل

زحم الخليجُ بمن مكتدحون جواؤوا بحارٍ

من كل حافٍ نصف عارٍ»<sup>(3)</sup>

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن تجربته المريرة التي عاشها في الغربة بعد طرده خارج وطنه.

ونجد أيضا "عبد الله بن عوف الأحمر الأزدي" يعلن موقفه الراض للدولة الأموية، ويمجد مشاركة أبا

الحسين في معركة صفين بقوله:

(1) محمد الهادي بوطاران: الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي، دار الكتاب الحديث، الجزائر، د. ط، 2010، ص 66.

(2) محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر، ص 22.

(3) بدر شاكر السياب: الديوان (أنشودة المطر)، مج 1، دار العودة، بيروت، ص 317.

«ألا وانع خير الناس جدًا ووالدا  
حسينًا لأهل الدين إن كُنت ناعيا  
ونحنُ سمونًا لابن هندٍ بحجفل  
كرجل الدبا يزجي إليه الدواهيا  
فلما التقينا بين الضرب أينما  
بصف كان الأضرع المتوانيا»<sup>(1)</sup>

يقول أيضا:

«ليبك حسينا كلما درّ شارق  
وعند غسوق الليل من كان باكيا  
ليبك حسينا مرملاً ذو خصاصة  
عديمٌ وأيتام تشكي المواليا  
لحا الله قوما اشخصوهم وعردوا  
فلم ير يوم البأس منهم محاميا»<sup>(2)</sup>

أما "عبد الرحمان بن العقون" في قصيدته (الليل البهيم) فيوضح لقومه فيها أن الصراعات الحزبية لا تأتي

بفائدة:

«اسمعوني ها أنا إلا صدى  
رددته من حناياكم عبر  
هذه الأمراض في جوهرها  
تورث الأمة قتال الأثر  
وترينا الذل عزا قيما  
وتذيق الشعب موسوع الضرر  
جعلتنا في حمانا غرباء  
وأرتنا كيف تنهار الأسر»<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص 51.

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه، ص 51.

<sup>(3)</sup> عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، ص 49.



يذهب بعض الدارسين إلى أن "جون جاك روسو" صاحب العقد الاجتماعي وهو أول من استعمل تعبير الغربة عندما كان يناقش فكرة تمثيل الشعب بواسطة نوابه في كتابه "العقد الاجتماعي"، «وأنه انتهى إلى أن الشعب عندما يتولى النواب تمثيله يستبعد في الحقيقة عن مباشرة أعمال السيادة الخاصة به ويأخذ طريقه إلى العزلة داخل وطنه، وهنا يأتي شعوره بالعزلة بالإضافة إلى أن روسو نظر إلى الغربة من خلال المفهوم السياسي»<sup>(1)</sup>.

نلمس في هذا القول أن النواب عندما ينوبون عن الشعب فإنهم يقومون بعزلهم وهذا يؤدي إلى الاغتراب السياسي.

يكشف "جون لوك" عن جوهر عملية الاغتراب من خلال «تصميم العلاقة الجدلية بين المواطن والسلطة السياسية فالمواطن يغترب عن السلطة إذا ما انحرفت عن واجبها كحارس أمين ووكيل شريف وطرف في عقد حر يستمد شرعية وجوده من حسن أدائه وحرصه على واجبه»<sup>(2)</sup>. وعلى السلطة أن تحفظ حقوق المواطنين بأمن وحرية وإبداء الرأي والعدالة وغيرها وليس استلابها.

### 3-5 الاغتراب الإقتصادي:

انحصر الاغتراب في نفس الفكرة التي تمحورت حولها الأنواع الأخرى (سياسية، نفسية)، فالأنظمة الاقتصادية هي التي تجعل الفرد يشعر بالاغتراب الذي تفرضه عليه «فإذا كان الإنسان قد أصبح معترباً عن عمله اليومي فهو بالضرورة قد اغترب أيضاً عن نفسه وعن إمكانياته الخلاقة والأطر الاجتماعية التي تحدد من خلالها إنسانيتها وهذا في اعتقاده يعزله عن النوع الإنساني»<sup>(3)</sup>، يدل الاغتراب الإقتصادي على تحويل ملكية شخص إلى شخص أو هيئة أخرى، وهذا ما كان متداولاً في اللغات الإنجليزية والرومانية منذ العصور الوسطى.

<sup>(1)</sup> عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ط، 2002، ص11، 12.

<sup>(2)</sup> إسكندر نبيل: الاغتراب أزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (مصر)، 1988، ص215.

<sup>(3)</sup> عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 88، 89.

يعد "ماركس" أفضل من صاغ مفهوم الاغتراب الإقتصادي، حيث قسّم اغتراب العامل إلى صنفين الاغتراب عن ناتج العمل واغتراب العمال عن العمل نفسه حيث يرى « أن النظام الإقتصادي هو السبب في الاغتراب، ذلك أن ماركس تحدث عن قضية العمل الذي أصبح مفروضا وليس اختياريا، ولكننا نشير إلى السبب الحقيقي وراء الاغتراب في ذلك العصر وهو الطبقة الاقتصادية وما يقترن بها من ظروف اجتماعية، فقد كانت الهوة واسعة بين طبقتي الفقراء والأغنياء»<sup>(1)</sup>.

يتضح لنا من خلال هذا القول أن اغتراب الإنسان يعود إلى الفجوة الموجودة بين الشعب والطبقة الحاكمة وعدم عدالتها وظلمها وهو الذي أدى إلى محاولة تغيير هذا الواقع أو التمرد عليه ومواجهته وذلك من خلال الانتقال إلى الخليفة أو ولي الأمر، حيث يقول جرير:

أشكو إليك فأشكني ذرية      لا يشبعون وأمهم لا تشبَعُ  
كثروا علي فما يموتُ كبيرهم      حتى الحساب ولا الصغيرُ المرضعُ  
وإذا نظرت يربيني من أمهم      عين مُهَجَّجَةٌ وحدُّ أسْفَعُ  
وإذا تقسمت العيالُ غيوقها      كثرَ الأنينُ وفاضَ منها المدمعُ<sup>(2)</sup>

فالشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن غربته الاقتصادية التي خلفت له آلام ومآسي من الوضع الذي

يعيشه.

<sup>(1)</sup> فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص 5.

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه، ص 5.

يسود النظام الاقتصادي الفوضي لأنه نظام غير مستقر وينعكس على أفراد المجتمع بالسلب وهو السبب في اغتراب الإنسان خاصة الطبقة الضعيفة بسبب الهوة الموجودة بينها وبين الطبقة الغنية «الاستغلال الطبقي الظلم، الحرمان، القهر، وجود فجوات عميقة بين الضعفاء والفقراء من ناحية والأغنياء من ناحية أخرى»<sup>(1)</sup>. فالنظام الإقتصادي هو نظام متسلط ومتحكم، ينظر للشعب بأنه خلق لخدمته فقط، فهو بذلك يجعل الإنسان بلا تاريخ، وبالتالي تنجم عنه آثار سلبية تعود بعواقب وخيمة على الفرد منها: التفكك الإجتماعي والتبعية والطبقية وهي تخلف حالات النزاع لا التعايش.

### 3-6 - الاغتراب المكاني:

هو ذلك الشعور الذي يراود الإنسان عند الانتقال من مكان إلى آخر، حيث بات المكان هاجسا يتبع الإنسان بشكل واضح ومستمر خاصة عندما تجبره الظروف على تغيير مكانه ووطنه الأصلي الذي نشأ وترعرع فيه إلى مكان جديد غير معروف لديه، ويجد صعوبة في التكيف والتأقلم مع الوضع الجديد، حيث يبقى دائما يسترجع الذكريات الماضية ويتحصر عليها لأنه لا يستطيع عيشها مرة ثانية «وماذا تكون الأرض، وماذا يكون الإنسان إذا هو لم يشعر بإنسانيته التي تتأصل فيه من خلال الأرض والوطن، فالإنسان بدونها يبقى طريد معذبا وفاقد لإنسانيته ووجوده وانتمائه»<sup>(2)</sup>، فالإنسان يعيش معاناة كبيرة إذا اضطر إلى تغيير وطنه ومنشأه الأصلي فهو دائما يشعر بالغرابة والحسرة على وطنه الأصلي وكما يقول "مبارك جلاوح":

يا بلادًا أعيشُ فيها غريبا      وأنا من بين أبنائها الأجمادِ  
ويعيش الغريب فيها عزيزا      وهو يسعى لذلها في العبادِ

(1) حلیم بركات: الاغتراب في ثقافة العربية، ص 60.

(2) عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945 - 1962)، ص 22.

الوداع الوداع يا خير أرض دفنت في ترابها أجدادي<sup>(1)</sup>

يقصد الشاعر أن الاستعمار هو الذي يعيش عزيزا مكرما في وطنه الأصلي، أما أصحاب البلاد فهم الغريباء وذلك ما جعله يقرر الرحيل إلى فرنسا.

ويضيف أيضا:

يا دار أين الذي من فوق سطحك إذا قد كان يسمعنا الشكوى ونسمعهُ؟

أين الذي يبكيه توجعنا يوم الفراق ويكـ\_\_\_\_\_ينا توجعهُ؟

ياساكني الدار هل الدار من أثيرٍ له أطارحه الشكوى وأسمعهُ؟<sup>(2)</sup>

فالشاعر هنا يوضح لنا أنه اغترب عن دياره وأبتعد عنها، وقد أصابه الألم واليأس بسبب اغتصاب أرضه من طرف الإستعمار، وبذلك فهو يسأل الدار ويتكلم معها كأنه يحدث إنسان وينتظر منه جوابا، وهذا يشبه قديما ظاهرة البكاء على الأطلال المنتشرة في العصر الجاهلي. «والمكان بوصفه حيزا هاما في العملية الإبداعية فهو يلعب دورا في تكوين هوية الكيان الجماعي، وفي التعبير عن المقومات الثقافية، وقد أثرت العوامل البيئية على المفاهيم الأخلاقية والجمالية التي تحرك الشعوب في جميع أرجاء العالم، ويصبح المكان إشكالية إنسانية إذا ما اغتصب أو إذا حرمت منه الجماعة»<sup>(3)</sup>، فالمكان هو الذي يكون هوية المجتمع وكيانه.

<sup>(1)</sup> عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945-1962)، ص 22.

<sup>(2)</sup> إبراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي الجزائري أنموذجا (1925-1962)، سحب الطباعة الشعبية للحيش، الجزائر، د.ط، 2007، ص 252.

<sup>(3)</sup> محمد الهادي بوطاران: الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي، ص 131.

الفصل الثاني  
أنماط الاغتراب في رواية الأشجار  
واغتيال مرزوق

ظاهرة الاغتراب ظاهرة إنسانية عُرفت في مختلف المجتمعات والعصور، برزت في الأدب بوصفها نتاج نشاط إنساني تفاعلي، وهي ظاهرة مرتبطة بالتجارب والأحوال التي تعيشها النفس البشرية، حيث انعكست على الأدب فأصبح الاغتراب موضوعا بارزا فيه و قد تجلت في صور وأشكال مختلفة، كما يعد السمة السائدة في هذا العصر «وإنه السمة الجوهرية للوجود الإنساني من خلال تغلغله في جوانب الحياة المعاصرة»<sup>(1)</sup> ومظاهر الاغتراب تتمحور أساسا في شخصيات الرواية سواء كانت أساسية أم ثانوية، لأن الشخصية من العناصر الأساسية للرواية التي تركز عليها الدراسات الأدبية « فالشخصية هي القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي، وهي عموده الفقري الذي تركز عليه»<sup>(2)</sup>، أي لا يمكن وجود عمل سردي بدون وجود شخصيات، فالرواية تسمح لهاته الشخصيات بالتعبير عن مكنوناتها والتنفيس عن مشكلاتها، وهذا ما أدى إلى بروز مظاهر مختلفة نفسية كانت أو اجتماعية سياسية، دينية... فموضوع الاغتراب يعد واحدا من الموضوعات البارزة في كثير من الأعمال الأدبية، التي من بينها رواية "الأشجار واغتيال مرزوق" ل"عبد الرحمن منيف"، ومن هنا سنحاول الكشف عن أنماط الاغتراب الموجودة في الرواية التي تناولناها بالدراسة.

### 1- الاغتراب الاجتماعي:

ذكرنا سابقا أن الاغتراب الاجتماعي يمثل الانفصال عن القيم الاجتماعية، فافتقاد العلاقات الحميمة بين الناس والخروج عن القيم والأعراف السائدة أدى إلى غياب الإحساس بالحياة، مما دفع بالإنسان إلى الهروب عن هذا العالم والخروج عن النظام الاجتماعي السائد، وهذا ما حدث في رواية "الأشجار واغتيال مرزوق" التي عاجلت قضية اغتراب "إلياس نخلة" داخل مجتمعه وأسرته، وذلك من خلال:

اغتراب شخصية "إلياس نخلة" عن المجتمع؛ فإلياس في الرواية هو رجل مسيحي عربي الجنسية، الهزيل البائس المرتبط بالطبيعة، على كثرة خيبياته لكنه لم يعرف للاستسلام مذاق «كان يبدو في الخمسين، ضعيف

(1) ريتشارد شاخت: الاغتراب، ص 57.

(2) جميلة فيسمون: الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، ع13، 2000، ص 195.

ناتئ عظام الوجه، تبرز رقبتة داخل القميص الواسع وكأنها رقبة طير، عيناه بين الرمادي والأزرق، ضاحكتان بسخرية، وملابسه فضفاضة متناقضة الألوان، يضع غصنا أخضر في عروة سترته الزرقاء ذات الأزوار الذهبية اللامعة، وعلى كتفه يعلق مطرة عسكرية لوها أصفر كامد»<sup>(1)</sup>، رجل عادي مغامر مقامر يعيش عذابات داخلية، دائم التنقل من عمل لآخر، لا يجب الكنائس وليس له أية علاقة بها وبالآباء، وهو الإنسان المعذب بالأشجار والحب الذي ماتت زوجته في مخاضها ومات حمارة سلطان، شهدت علاقة "إلياس" بأهل طيبة نوعاً من الإضطراب ففي البداية كانت علاقته بهم على ما يرام، وبعد لعبه القمار خسر "إلياس" أشجاره كلها وهذا ما خلف في نفسه جروحا وانكسارات «حلمت بتلك الشجرة في نفس الليلة التي لعبنا، بدت لي تتألم تبكي... كانت جراحا تنزف خفت من ذلك تألمت»<sup>(2)</sup> فهذه الحادثة تركت فجوة كبيرة في نفسه، فقرر الانتقام من "زيدان" جاره في الأرض، الذي ربح معظم أشجار "إلياس" التي خسرها في لعبة القمار وقام بقطعها، فثار منه بقتل أغنامه ومحاولة قتله هو أيضا، فهو يرى بأن "زيدان" يستحق هذه الجراح، وهذا يدل على انقسام الشخصية واغترابها مع نفسه وأصدقائه، فالغريب هنا «هو الغريب عن جماعته الاجتماعية وتنظيمات الحياة»<sup>(3)</sup>، و هو ما أدى إلى تشرد "إلياس" وخروجه واغترابه من وطنه "طيبة" إلى الجبل «ومع أنني فكرت كثيرا، ورأيت كل شيء في الجبل فقد ظللت حزينا، كنت أريد بشرا أتحدث معهم. كنت أريد أشجارا أسقيها وأتطلع إليها كل يوم، ولكن أهل الطيبة حرموني من هذا كله»<sup>(4)</sup>، فانهارت بذلك العلاقة بين "إلياس" وبين أهل الطيبة، مما أدى إلى إحساسه بالغرابة التي جعلته يتجرع مرارة الوحدة، حيث يقول «كل ما أريد أصدقاء، فالإنسان عندما يكون وحيدا لا يعرف كيف يتصرف، أما إذا كان مع الآخرين فإنه يكون

(1) عبد الرحمان منيف: الأشجار واغتيال مرزوق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ط، 1989، ص21.

(2) المصدر نفسه: ص56.

(3) أحمد علي الفلاح: الاغتراب في الشعر العربي، ص52.

(4) الرواية: ص60.

شجاعا وذكيا»<sup>(1)</sup>، فالأشجار كانت سببا من الأسباب التي أدت إلى انهيار العلاقات الاجتماعية بين أفراد أهل طيبة.

اغتراب شخصية "إلياس" عن أسرته؛ أنتج نقص الثقة ونشوب الكراهية بينه وبين الآخرين ما جعله يفكر في هجرة الناس والرحيل إلى مكان بعيد أدى به إلى الاغتراب عن أمه، وهو ما نجده في "عقدة أوديب" وهي عقدة نفسية تطلق على الذكر الذي قتل والده وأحب والدته وتزوجها، وبعد معرفته للحقيقة غادر طيبة ليكمل بقية حياته بين البؤس والحزن، تجلّى ذلك داخل الرواية في الحوار الخارجي الذي دار بين "إلياس" وأمه عندما أرادت رؤيته وبعثت له بخبر وفاتها مع راعي والده:

« قلت لها: لماذا كذبت علي يا أمي؟

قالت: ما كنت أستطيع أن أراك لو لم أكذب، حاولت مرات كثيرة، ولكنك لم تسمع ولم تأت.

قلت: هل تكذبين؟

قالت: كذب الأمهات من أجل أن يرين أولادهن صلاة.

قلت: ولكنك تعرفين زيدان، لو رأيته لقتلته، وإذا رأني لن يتركني أرجع إلى الجبل مرة أخرى !

قالت: ندفع لزيدان ما يحدده المختار وبعض رجال البلد وتعود

قلت: أمن أجل هذا طلبت إلي أن أعود؟

بكت، توسلت، قلت لها لم أعد أطيع البلدة يا أمي»<sup>(2)</sup>.

فاغتراب إلياس عن أمه دليل على وجود هوة بينهما، حيث ظهر ذلك في لامبالاة "إلياس" بتوسلات أمه من أجل البقاء، فالظروف التي عاشها "إلياس" أسهمت في تشتته الأسري وفقدانه القيم الاجتماعية التي كان يتحلى بها، مما أدى به إلى الاغتراب عن محيطه وشعوره بالضياع والحرمان « فالاغتراب يقع داخل الشخصية

(1) الرواية: ص48.

(2) المصدر نفسه، ص63.



الفردية، وذلك على الرغم من أن عوامل اجتماعية يمكن أن تسببه»<sup>(1)</sup>، فغياب العلاقة بينه وبين المجتمع أدى إلى ازدياد شعوره بالاغتراب وانفصاله عن أسرته.

كما نجم عن هذه الظاهرة فشله في إقامة علاقات أخرى وعدم استقراره في عمل محدد وانتقاله من عمل إلى آخر، وبرز هذا المظهر في الرواية في اضطراب العلاقة بينه وبين "أبو دياب" وهو صاحب المقهى الذي اشتغل فيه "إلياس" بعد مغادرته الطيبة إلى المدينة، والذي كان يتعامل معه بقسوة ويصرخ في وجهه ويشتمه ويطلق عليه مصطلحات خاصة بالحيوانات و"إلياس" يتحمل المهانات ويصمت، لكن هذا الأمر لم يدم طويلاً حتى ترك "إلياس" المقهى، وبعد عودته مرة أخرى إلى الطيبة عمل في فرن "صالح الأعور" وهو ثاني فرن بعد فرن "إلياس" نخلة" وقبل فرن "الخوري سمعان"، كان "صالح الأعور" في البداية يشتغل وحده ويعجن الخبز ويبيعه لأهل الطيبة وبعدها قام بتشغيل "إلياس" معه، ففي أول الأمر كانت تربطهما علاقة جيدة ويتعامل معه معاملة حسنة، لكن بعد فتح "النصراوي الصغير" فرنا تغيرت نظرة "صالح الأعور" لـ"إلياس"، حيث يقول «حتى كان يوماً جاءني المعلم صالح غاضباً يقول: قريبك من النصراوي يجلب الطير، ألم يجد عملاً سوى أن يفتح فرناً!»<sup>(2)</sup>، وهذا ما أدى إلى تشتت العلاقة بين "إلياس" و"صالح الأعور" الذي اتهمه بالخيانة، حيث «أصبح الفرن جحيماً، أصبحت الأرغفة تعجن بالسأم، وأصبحت نظرات المعلم صالح ثقيلة متهمة، وحررت في أمري. ماذا أفعل، كيف أستطيع أن أقنع المعلم؟ كيف أتصرف معه؟ وكيف أتصرف مع النصراوي؟»<sup>(3)</sup>، فحصلت بينهما عدة تشابكات قرّر "إلياس" بعدها ترك "صالح الأعور" وفرنه، وبسبب افتقاد العلاقات الحميمة بين "إلياس" وأهل طيبة تنقل من عمل لآخر، وهذا بدوره دفعه إلى الانتقال من مكان لآخر.

إضافة إلى فشل "إلياس نخلة" في زواجه من المرأة الثانية التي هربت وتركته، التي التقى بها عند العجوز اللعينة صاحبة الحوش الكبير، التي كانت تعمل فيه كخادمة، تعمل يوماً وتستريح آخر ففي بداية الزواج كان كل

(1) فينكوف والتر: الإغتراب الوجودي، تر: كامل يوسف حسن، الآداب، ع3-4، 1981، ص23.

(2) الرواية: ص157.

(3) المصدر نفسه، ص109.

شيء يسير على ما يرام «وعلى سطح الدار كنا نقضي حياتنا: تأكل وننام ونفكر بخبز الغد ونحلم»<sup>(1)</sup> وبعد فترة تغيرت معاملتها معه وأصبحت لا تحبه وتصرخ في وجهه وتعيّره بقتل زوجته الأولى، وتتهمه بأنه تغير وليس هو "إلياس" الذي عرفته قبل الزواج، كما كانت تسخر منه ومن عمله في الدباغة، ثم أصبحت تتجاهله غير آبهة له تقضي معظم وقتها مع العجوز اللعينة وتظلان تتشاوران طوال الليل ولا ترجع إلى الشقة، وفي يوم من الأيام سرقت كل شيء و هربت، حيث تركت في نفس "إلياس" جرحا عميقا، فبدل أن تكون علاقته بها قائمة على الحب والاحترام والود تحولت هذه الأحاسيس والمشاعر إلى آهات حزينة فانهيار علاقته الزوجية كانت سببا من أسباب اغتراب "إلياس" اجتماعيا.

كما تجسدت هذه الغربة في تضحية "إلياس" بنفسه من أجل الآخرين «مثل كل مرة، أوهم نفسي بالراحة. أضغط على هذا الصدر لثلا يتمزق. أقول لنفسي أمسك الأرض يا إلياس. كن عاقلا، لم تعد فردا واحدا كما كنت من قبل يجب أن تفكر بالآخرين وتترك نفسك»<sup>(2)</sup> فبالرغم من العذابات النفسية التي كان يمر بها والإهانات التي يتلقاها من الزبائن وأرباب العمل، إلا أنه كان يتحملها من أجل أولاده وزوجته لتوفير لقمة عيشهم «تحملت الكثير، قلت يجب أن أصبر. الرغبة الآن لم يعد لي وحدي، أصبحت أدمة تطالني بالخبز، والصغار يطلبون، يجب أن أحتمل كلمات المعلم صالح، ويجب أن أبتعد عن النصاروي لكي لا أقع بين حجري الرحي»<sup>(3)</sup>. خروج إلياس من وطنه وتشرده ونفيه منه، أدى به إلى الإحساس والشعور بالوحدة والضياع والحرمان ومرارة فراق الأهل والخلان، وهذا ما جعله يفقد الثقة بالآخرين فاغتراب الإنسان عن القيم الاجتماعية يعود بدوره إلى عوامل وظروف مختلفة شتته اجتماعيا.

كما يظهر الاغتراب الاجتماعي في قصة "منصور عبد السلام" وما عاشه في مجتمعه، فهو يتلقى أسئلة تجعله مرتبكا ولا يستطيع الإجابة عنها بل يبدأ بطرحها على نفسه من جديد.

(1) الرواية: ص110.

(2) المصدر نفسه، ص161.

(3) المصدر نفسه، ص159.

«- السفر سياحة أم عمل؟».

- عمل.

- ما صنعتك.

ما هي صنعتي؟ هل أقول لهم عالم آثار؟ مترجم؟ لماذا لم أسأل نفسي هذا السؤال؟ ولكن سجل بجواز السفر في خانة المهنة: موظف سابق. ماذا تعني موظف سابق؟ متقاعد؟ مسرح، لم تعد الكلمات تعني شيئاً<sup>(1)</sup> فهو يفقد أهم شيء يربطه بمجتمعه وتحوله من إنسان له دور في المجتمع إلى إنسان عاطل عن العمل.

ينتقل "منصور" للحديث عن غياب العدالة الاجتماعية، من خلال ذكر الجندية وأنه قام بهذه الخدمة وهو مجبر لأن أبناء الفقراء يقومون بخدمة الجندية أما أولاد الأغنياء فيقومون بدفع مقابل الخدمة أموالاً، وهذا دليل على أن المجتمع متكون من فئتين: فئة الفقراء وهم الأغلبية اللذين ضاعت جل حقوقهم، وفئة الأغنياء وهي القلة القليلة التي تُسيّر كل شيء لصالحها، فمجتمعه يقوم على الطبقية والتمييز بين الأشخاص على حسب ما يملكونه من أموال.

ويرى بأن المجتمع تحكمه معادلات تخدم فئة على حساب الأخرى «المهم أن يُدمر هذا العالم الكئيب المبني على معادلات الغش والخطأ والخسة، في هذا البلد لا شيء يستحق أن يدافع عنه، المعادلة ببساطة: أسرق، أكذب أرتشي، أفعل كل شيء ثم تأكد أن الدنيا ستفتح لك أبوابها الكبيرة»<sup>(2)</sup>، فحسب "منصور" هذا المجتمع ظالم يقوم على مبادئ لا يقبلها العقل وهو ليس المجتمع المثالي الذي يطمح للعيش فيه، وبذلك يتمنى له أن يدمر ويزول نهائياً، فهو يسافر من أجل البحث عن لقمة العيش التي أصبحت مستحيلة في وطنه، وهو لا يريد شيئاً من وطنه سوى الحرية من جميع القيود التي تخنق الإنسان وتدفع به للرحيل إلى مكان بعيد دون التفكير في العودة.

(1) الرواية: ص187.

(2) المصدر نفسه، ص189.

يعيش "منصور" غربة داخل مجتمعه وهذا راجع إلى العلاقات المختلفة بين أفرادها، كما أنه مجتمع غير مترن لأنه لا يخلو من الصراع بين الطبقات.

يسترجع "منصور" بعض الأحداث الماضية وكيف كان ينتقل من عمل إلى آخر جراء سوء معاملته، فقد عمل في التجارة حيث كان معلمه يقوم بتشغيله كثيرا ويأمره بتنظيف المحل ونقل الأقمشة دون أدنى رحمة، ولم يدم طويلا حتى انتقل إلى مهنة أخرى، وأصبح يشتغل في مكتبة يبيع الجرائد والمجلات، لكن صاحب المكتبة كان يهينه ويسيء إليه كثيرا بل و يضره.

لم يستقر "منصور" في أي عمل فقد علاقته مع الجميع، لأنه يراهم أناسا سيئين لا يجيدون التعامل مع غيرهم وينظرون للإنسان على أنه خادم ولا يحترمون مشاعر أحد. فهو يعلن رفضه للمجتمع وانعزاله عنه وعن الأشخاص الموجودين فيه.

لم يستطع "منصور" العيش في مجتمع يسود فيه الكذب والأنانية وحب النفس، كان هدفه الأول القضاء على الطبقة الفاسدة و الخونة لأنهم السبب في جميع المشاكل التي تحدث في الوطن، نجد أفكاره هذه عند حديثه عن المجتمع الشرقي وهو يصفه "لكاترين" بأنه مختلف عن المجتمع الغربي «والناس عندنا لا يعرفون شيئا غير أن يتناسلوا، إنهم كثيرون... كثيرون جدا، وكل يوم يزدادون أنهم ينامون ويتناسلون في الليل والنهار، العائلة الصغيرة عشرة، والناس يأكلون الخبز والزوان، لأنهم لا يجدون شيئا آخر يأكلونه، إنهم سيكون كثيرا، يريدون أن يكفروا عن شيء ما ويضحكون بعصبية، وربما أصبحوا من الحزن مرضي، وكذلك من الجوع»<sup>(1)</sup> يصف "منصور" حالة المجتمع الشرقي وما يعاينه أفرادها من قهر وجوع وحرمان وهذا ما دفع به إلى تركه والهجرة دون عودة.

يستمر "منصور" في الحديث عن الظروف الصعبة في الوطن خاصة ما تعانيه الطبقة المثقفة، لأنّ أغلب أصدقائه انتحروا وآخرون قتلوا أما البعض الآخر فينتظرون الراتب بعد القيام بحساب أيام الشهر، وهم مهددون في أي وقت بالموت أو الجنون بسبب الضغوطات النفسية والاجتماعية التي يمرون بها، أما هو فيعتبر نفسه ميتا تختلف

(1) الرواية: ص215.

رواية موته فقط، لكنه ميمت وإنما الذي مات فيه هو طموحاته في مجتمع فاشل وفساد لا يعرف سوى المصالح لقد شفي "منصور" من الجرح الذي أصيب به في رأسه، لكن الجرح العميق الذي يعاني منه في صدره لم يشفى.

يتحدث "منصور" مع "سهام" بنت "الحاج زهدي الصناديقي" عن الزواج والعادات والتقاليد وكيفية تجهيز البيت وتربيته، وأنه لا يتقيد بالعادات الاجتماعية التي تجعل كل شيء صعباً ومستحيلاً.

يسافر "منصور" في القطار من أجل العمل في بعثة للبحث عن الآثار مع مجموعة من العناصر منها "مسيودونال" رئيس البعثة، ومسؤولاً عن التنقيب والبحث عن الآثار وألواح الطين وهو شخص متشائم دائماً ومسيودونال فرنسي وهو المدير الكبير، إنسان قاسي يجب الشرب كثيراً، أما مهمّة منصور" فهي الترجمة، لكنه يفضل أن يشتغل بيده أحسن ويخرج إلى موقع العمل مع بقية العناصر للتنقيب بنفسه وهو يرى بأن جميع العناصر ينظرون إليه بكرهية، لأنه لا يرى في الدنيا سوى السلبيات.

يعد العمل مهنة شريفة يسعى إليه الإنسان لكسب قوته والتخلص من الآفات الاجتماعية الأخرى، كما أنه عبادة يؤجر عليها و"منصور" يحرم عن الوظائف الحكومية لكنه مستعد للعمل في أي شيء آخر « يمكن أن يعمل بواباً! كناساً، تاجراً صغيراً، سآبول على الشهادة واعمل بيدي لن أتركهم يشتمون بي منذ الغد لن أراجع أية جهة رسمية»<sup>(1)</sup> شهادة "منصور" لا تساوي شيء في مجتمع مبني على الطبقة والظلم فهو يحس بأنه لا ينتمي إليه ويبحث عن أعمال أخرى، لكنه يُرفض لأنه مُسرح من الجامعة والتعليمات تمنع المسرح من العمل وتحرمه حقه لكنه لم يفشل وفكر أن يعمل بيده ولا يبقى بطالاً.

يقدم طلباً للحصول على جواز السفر «رحلة جواز السفر إنما أطول رحلة في هذه الحياة لم استطع أن أصل إلى نهايتها إلا بعد سنتين وسبعة شهور»<sup>(2)</sup> ولو كان جواز السفر خاص بأبناء الطبقة الغنية لأنجز في أقل من يومين وهذا ما يجعله يعاني وسط مجتمعه ويتخبط في الواقع المر من أجل البقاء.

(1) الرواية: ص321.

(2) المصدر نفسه، ص323.

كما نجد أن الرواية تتحدث عن قضية مهمّة وهي قضية الصراع بين الشرق و الغرب، وهو يعمل مع مجموعة أشخاص كلهم غربيين، ما عدا "منصور" فهو الغريب الوحيد عن هذا الوطن، هو يعيش ظروف مغايرة للظروف التي تعود عليها في وطنه، والصراع بين الشرق والغرب صراع قائم ومستمر منذ الأزل، يتضح ذلك من خلال رفض الغرب للشرق والمعاملة السيئة لهم، لذلك جاءت محاولة "منصور" الانتقام منهم «تجمعت لدي مادة لثلاث قصص قصيرة، راؤول سيبقي مصلوبا إلى الأبد، أما سائق الحفارة الكبيرة فلدي معلومات عنه تكفي لأن أبدأ قصته فوراً»<sup>(1)</sup>، يوضح "منصور" الاختلاف القائم بين الشرق والغرب وأن لكل واحد عاداته وتقاليده وخصوصية وطنه، فالعرق هو رمز للشرق أم الكونياك فرمز لفرنسا، يحاور "منصور" "مسيودونال" ويقارن بين الشرق والغرب «أنتم تشربون لكي تفرحوا، نحن نشرب لكي نتحدر، أنتم تشربون من أجل أن تتألق أرواحكم، أن تزهروا، أما نحن الشرق اللعين، موطن الكآبة والخنافس السوداء، فنشرب لكي نغرق وننسى»<sup>(2)</sup>.

ينهر منصور بالغرب وطريقة عيشهم ويتأقلم معهم، لكنه لا ينسى الشرق ثانية واحدة وهو دليل على أنه لا يتخلى عن هويته الأصلية وانتمائه إلى الشرق ووطنه الأصلي «أنّ الهوية هي ما يصمد من الإنسان عبر الزمن، إذ تلازمه مكونة شخصيته ومحددة معالمه بشكل ثابت مما يمنح إبداعه طابعا خاصا، فلا يكون مسخا للآخرين لهذا تعد شرطا ملازما للفرد، يؤثر في الجماعة ويمنحها سمة خاصة بها، لذا لا نستطيع فصل "الأنا" من "النحن" لأن الهوية تحقق شعورا غريزيا بالانتماء إلى الجماعة»<sup>(3)</sup>.

وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي عاشها "منصور" في وطنه إلا أنه متشبث به/ ولا يستطيع نسيها وخاصة وأنه يرى أن الغربيين يكرهون الشرق ويملون من "منصور" والأفكار التي يتحملها «اذهب أنت وشرقك إلى الجحيم، أليس عندك سوى هذه القصص المملة ترددها علينا دون تعب؟ السجن، التعذيب، البطالة الاضطهاد. لقد سمعنا هذه القصص في كل الليالي، منذ أربعة شهور وحتى الآن، واللييلة نريد أن نتذكر نحن:

(1) الرواية: ص345.

(2) المصدر نفسه، ص345.

(3) ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، عالم المعرفة، د.ب، د.ط، 2013، ص15.

باريس، باريس الملونة التي تضح بالضحكات والقبل، باريس النساء، كل امرأة تعادل شرقك كله!»<sup>(1)</sup> فالغريون لا يحبون الشرق ويتباهون بوطنهم ويرونه أفضل من كل شيء.

يطلب "منصور" من "رجب" إحضار الجرائد لأنه يريد معرفة أخبار وطنه وماذا يحدث فيه على الرغم من أنه غريبا عنه.

نلاحظ أن الاغتراب الاجتماعي تجسد في رواية "الأشجار واغتيال مرزوق" بشكل واضح وكبير من خلال شخصيتي "منصور عبد السلام" و "إلياس نخلة"، وذلك من خلال الأوضاع والمشاكل السائدة في المجتمع والتي دفعت بهما إلى ترك أوطانهم الأصلية والاعتراب عنها إلى بلدان أخرى للبحث عن الأمن والحرية.

## 2- الاغتراب الديني:

شكل من أشكال الاغتراب، تنتقل فيه الشخصية الإنسانية من حالة دينية إلى حالة أخرى، فانفصال الإنسان عن القيم الدينية يؤدي إلى توسيع الهوة بينه وبين الذات الإلهية فيتشكل بذلك الاغتراب، برز هذا النوع من الاغتراب في رواية "الأشجار واغتيال مرزوق" من خلال المشهد الحوارى الخارجى الذى دار بين ثلاث شخصيات، الرجل الهزيل "إلياس نخلة" والأستاذ " منصور عبد السلام" والرجل السمين حيث تبادلوا أطراف الحديث حول نوعية العرق وأيهما أجود العرق البيتي أم عرق السوق، فاختلقت وجهات النظر حول قضية الحلال و الحرام:

«- ما رأيك، أليس العرق طيبا؟»

-وبتردد قال:

-معك حق، وبصوت غير واضح أضاف وهو يهز رأسه نعم: أي نعم طيب!

-هل شربت أطيب منه؟

<sup>(1)</sup> الرواية: ص 341، 342.

...-

-تعرف يا أستاذ، هذا العرق عادي، سوقي، أما في الطيبة فإنهم يصنعون عرقا بيتيا أفضل ألف مرة من أي عرق آخر، أصلا عرق السوق زبالة، ولولا الإنسان مضطرا لما شربه. والناس الذين يتعودون على العرق البيتي، العرق الذي يصنعونه، لا يمكن أن يشربوا غيره، صمت وبعد لحظات أضاف وقد تغيرت نبرة صوته:

-إذا جئت يوما من الأيام إلى الطيبة، سوف تذوقه وبعدها تحكم بنفسك!

-طبعا العرق البيتي أفضل بكثير، ولكن قلما تجده»<sup>(1)</sup>

يتبين لنا من هذا الحوار مدى بعد هذه الشخصيات عن الله تعالى، حيث ظهر هذا النوع من الاغتراب في جانبه السلبي الذي يدل على فقدان الحس الديني لديها واغترابها عن الله.

أما الجانب الإيجابي في هذا النوع من الاغتراب فتمثل في "الرجل السمين" هو المسافر الثالث في القطار مسلم عربي الجنسية «ولكن تعرف أي رجل مسلم أصلي وأتبع تعاليم الدين»<sup>(2)</sup> التحق بكل من "إلياس نخلة" و"منصور عبد السلام" في الدرجة الثانية من القطار الذي يستفسر عن أصل ديانتهم وسبب شربهم للخمر وأن المسلم محرم عليه شرب الخمر، فضلا على أنه مضر بصحة الأبدان.

«كل المشروب زبالة، وبعبصية سأل: أستم مسلمين؟!

- قال الرجل الضعيف بصوت حزين كأنه يخفي على نفسه تهمة:

- أنا مسيحي!

- التفت إلى الرجل السمين وسألني بغضب:

- وأنت؟

- وبلهجة ساخرة متحدة قلت له:

(1) الرواية: ص39.

(2) المصدر نفسه، ص42.



- مسلم يا سيدي/ مجوسي، لا أعرف
- وكيف تشرب الخمر؟
- حتى هذه اللحظة لا أعرف كيف أتتني الشجاعة لأن أحافظ على السخرية ورتابة الصوت قلت له:
- هل أنت وصي علي، هل أبي، ربي؟
- أجب بارتباك، كأنه لم يتوقع أن أواجهه هكذا:
- لا..لا ولكن المسلم محرم عليه أن يشرب
- وغير لهجته تماما يريد أن يحول المناقشة قال:
- تعرف يا أستاذ أن الخمر ليست محرمة فقط، بل مضرّة كما يقول الأطباء! <sup>(1)</sup>

يترجم "منصور" انتماءه العقائدي بسخرية ويتضح ذلك من خلال شربه للخمر وهو رجل مسلم، حيث تم طرح قضية اتصال الإنسان بالذات الإلهية عن طريق المعتقدات الدينية، فالشخصيات الرئيسية للرواية فقدت الحس الديني واغتربت عن الله تعالى وذلك راجع إلى الضغوطات التي مرا بها من حرمان، فقر، تشرد، اضطهاد وسلب حريات، مما أدى بها إلى التطرف، أما حكم الخمر في الشريعة الإسلامية فهي محرمة بالقرآن والسنة فشرب الخمر من الكبائر التي يجب على المسلم اجتنابها لأنها تصد عن ذكر الله وتدعوا إلى الفواحش، كما أنه يؤدي الجسد ويُضِلُّ الإنسان عن الحكم على الأشياء بطريقة صائبة، ومن آيات تحريم الخمر في القرآن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

(1) الرواية: ص39، 40.

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾<sup>(١)</sup>

تشير هذه الآية إلى أن الخمر مثل الميسر و الأنصاب والأزلام، كلها رجس و نجاسة فهي لا تندرج ضمن وصف الطيبات التي أحلها الله تعالى، ولا يتعاطاه إلا من اتبع الشيطان، كما أنها ترتب العداوة والبغضاء و الضرر في المجتمع.

كما نجد شخصية "إلياس" شخصية متزعزعة سقطت فيها كل المفاهيم الدينية، والتي تجلت في عدم إيمانه بوجود الخالق واغترابه عنه، ظهر هذا في المقطع الآتي من الرواية: «كنت أصرخ والسكين في يدي أريد أن أقتل هذا الذي قتل زوجتي وهي تلد سألت الذين حولي، إن كانوا قد رأوه، فلم يجيبوا أول الأمر. ثم قالوا لا تكفروا!»<sup>(٢)</sup>.

بعد موت "حنة" فقد "إلياس" إيمانه لعدم قدرته على احتمال مأساته وضعفه، لذلك بدت روحه مستسلمة منهزمة، كفر بكل ما حوله إلا إيمانه بالعمل حيث يقول «...العمل هو الشيء الوحيد الذي يفتش عنه الإنسان يغامر من أجله حتى لو تعرض للخطر، للموت. البطالة. موت من نوع آخر. لماذا لم أفكر بعمل من هذا النوع؟ أن أصبح مهربا للملابس القديمة...العيب يا منصور أن تكون دون عمل ، شرف الإنسان أن يعمل»<sup>(٣)</sup> ف"إلياس" فقد كل شيء (حنة، الأرض) ولم يبق أمامه سوى العمل وجمع المال بالطرق المشروعة وغير المشروعة، فهذا يدل على ابتعاده عن الله، دون أي اكتراث بمبادئ وقيم الدين الإسلامي، كما أن فقدانه للنزعة الإنسانية جعلته ضعيفا خائرا، فكثير ما تكون الحاجة إلى العمل سببا للاغتراب المكاني والنفسي، والذي يؤثر بدوره في الجانب الروحي للإنسان.

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٠، ٩١.

(٢) الرواية: ص٩١.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٧.

ومن ملامح الاغتراب الديني اسم بلدة الطيبة؛ فطيبة اسم من أسماء المدينة المنورة واحتوائها على الأشجار والخضرة جعلت "إلياس" يرتاح للعيش فيها و رغم مرارة العذاب الذي ذاقه فيها إلا أنه يحن للعودة إليها.

كما تجسد الملمح الديني في شخصية "منصور" الذي يتحلى بالقيم والمبادئ الإسلامية ويؤمن بما كتب الله للبشر وهو يرى بأن جميع الناس مصيرهم الموت والفناء وهي حقيقة لا مفر منها، لأن الجمارك يخبرونه عن وفاة "إلياس نخلة" «البقية في حياتكم، عظم الله أجركم كان المرحوم مثالا للأخلاق الرفيعة والعلم والنزاهة والتقوى ولكن الأعمار بيد الله، كلنا على هذا الطريق لقد مات إلياس نخلة وعشت أنت»<sup>(1)</sup>، فمنصور أثبت تمسكه بالدين الإسلامي من خلال نقده للطبقة المسيطرة على المجتمع، فهم لا يحترمون المبادئ ولا الأخلاق و لا يميزون بين الحلال والحرام، وكل شيء في نظرهم حلال إذا كان يخدم مصالحهم الخاصة.

يتذكر "منصور" أن والده مات فوق الستين، في عمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن أباه كان يحب الدين

الإسلامي ويتحاور مع "الحاج أحمد" حول أمور الدين:

«هل الحبشة يا حاج أحمد هي التي أمر الرسول أتباعه بأن يهاجروا إليها؟

- إنها نفسها

- من هاجر إليها من الصحابة

- ما كان اسم زوجه النبي الحبشية

- سارة

- لا أمنا سارة هي زوجة إبراهيم... أم إسماعيل؟

- إذن مريم»<sup>(2)</sup>.

(1) الرواية: ص195.

(2) المصدر نفسه، ص216

تحمل عائلة "منصور" جميع المبادئ والقيم الإسلامية وتحب الإطلاع على الدين الإسلامي ومعرفة قصص الأنبياء والرسل وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يواصل أب "منصور" سؤال الحاج أحمد عن الحبشة وهل فيها مسلمون؟ ومن هم الأكثر؟ المسلمون أم النصارى؟ يجيبه "الحاج أحمد" المسلمون أكثر وإلا لما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إليها.

يتحدث "منصور" عن فساد المجتمع وأنهم يريدون أنبياء يوقفوه على قدميه، على الرغم من أن الأنبياء غير موجودين، والذين يدعون الإصلاح والمعرفة مجرد دجالين يصرخون بأكاذيب لا منطق لها ولا يمكن تصديقها وهذا كله من أجل الراتب ومن أجل تغيير القيم التي جاء بها الإسلام، وهذا ما يجعله يشعر بالغرابة والعزلة عن أفراد مجتمعه لأنهم لا يميزون بين الصواب والخطأ.

يتذكر "منصور" ما كانت تحكيه له أمه فقد روت له قصة آدم عليه السلام وحواء، وهي أول تاريخ سمعه «بعد أن غضب الله على آدم وحواء وأخرجهم من الجنة، ألقي كلا منهما في مكان، وما كادت أرجلهم العارية تستقر على الأرض، حتى بدأت رحلة البحث، وبدأ يبحثان عن بعضهما، كانت حواء تفتش في الليل والنهار أما آدم فكان يفتش النهار كله. ظلاً كذلك حتى التقيا ذات يوم على جبل عرفات!»<sup>(1)</sup> تحب والدة "منصور" تربية ابنها على القيم النبيلة وتطلعه على الدين الإسلامي والعبر الموجودة فيه.

وبعدها يبدأ "منصور" بقراءة عدة قصص للأنبياء في الكتب السميكة، حيث قرأ قصة الطوفان أين أصيب بالرعب «كنت أتصور نوحاً يقطع أشجار الغابة لكي يبني السفينة، والماء حوله يطوقه من كل ناحية الأرض تعرق، والمركب يطفو بهدوء فوق الماء، وعليه من كل زوج اثنين، حتى القمل والبراغيث والأفاعي وبنات آوى، وعندما غرقت الأرض وارتفعت المياه فوق هامات الأشجار، ثم فوق الجبال وامتألت الدنيا رهبة، وظل الأمر

(1) الرواية: ص288.

كذلك حتى مرت أربعون ليلة»<sup>(1)</sup> فالشيء الغريب بالنسبة لمنصور هو كيف أن المجتمع يجهل الحقائق الموجودة في الدين ويتبع الشرك والظلال.

يتحلى "منصور" ببعض الصفات النبيلة مثل الصبر، كما أنه يملك ضمير حيًا ورقابة أخلاقية تمنعه من تزوير الحقائق والموت عنده أهون من تزوير الحقائق؛ لأن مجتمعه يقوم على معادلات الغش والكذب والتزوير، فهو يعي تمامًا معنى القيم والمبادئ، لكنه يغترب عنها عندما يقوم بشرب العرق «العرق يامسيودونال أقرب إلى القلب، بارد وجبار... ونحن نشره كي نمتلك الجرأة لمواجهة كل شيء»<sup>(2)</sup> فهو يعلم أن العرق و كل ما أذهب العقل أو أضر به حرام لكنه يتعاطاه على مذهب "أبي نواس" العباسي.

كما يتحدث "منصور" عن التجار «أنت لا تعرفهم، إنهم يسرقون، يخدعون، يكذبون، وبعد ذلك ركعة تسمح ما تقدم من الذنوب وما تأخر كل تاجر منهم يخدع الناس مائة مرة في اليوم، يحلف إيمانًا غليظة على أنه م يربح، ولكن في النهاية يكسب الأموال مثل قارون، أنت لا تعرف أن ربح يوم يعادل راتب شهر»<sup>(3)</sup> فهو يرى بأنّ التجار رغم إسلامهم فهم بعيدون عن القيم التي جاء بها الدين، لأنهم يقومون بتطيف الناس في سبيل تكديس الأموال محرمة البيع محلي الربا.

يتعامل "منصور" بتعاليم الدين، يحب الصدق والأمانة والرفق بالحيوان لكنه يفعل أشياء تجعله بعيدا كل البعد عن مبادئ الإسلام، وهو الوقوع في الحرام وإقامة علاقات غير شرعية مع النساء « كان وجه كاترين متوردا يضحج بالشهوة ورغبة العطاء، قلت لنفسني أنت محظوظ يا منصور. أيها الصقر الرمادي، ولم تحمل الأرض رجلا محظوظا مثلك، وقررت أن أنام معها تلك الليلة»<sup>(4)</sup>، فهو يقوم بأفعال محرمة ذمها الدين الإسلامي ونهى عنها وهذه الأشياء تجعله بعيدا كل البعد وغريب عن قيمه ومبادئه الإسلامية.

(1) الرواية: ص 289.

(2) المصدر نفسه، ص 337.

(3) المصدر نفسه، ص 42.

(4) المصدر نفسه، ص 242.

نلاحظ أن الاغتراب الديني تجسد في الرواية بجلاء من خلال شخصيتي "إلياس نخلة" و "منصور عبد السلام"، وذلك من خلال الأوضاع السائدة في المجتمع، التي دفعت بهما إلى ترك مبادئ الدين الإسلامي والقيام بأشياء محرمة كشرب الخمر لنسيان جميع المشاكل والمهموم.

### 3- الاغتراب النفسي:

وهو الصراع مع الذات (الأننا)، وتمثل هذا الاغتراب في انفصال الذات عن نفسها وعن الآخرين، فالمغترب نفسيا يشعر بالضيق وعدم التوافق بين الداخلة (الذات) والخارج (المجتمع)، وهذا ما اتضح في رواية "الأشجار واغتيال مرزوق"

ف نجد "إلياس نخلة" أخذ نصيبا وافرا من هذا الاغتراب الذي حطمه وفضمه إلى شخصيين فرحة عذابه الأولى بدأت من الأرض التي تركها له والده «لم أرد أن أقطع الأشجار، فأنا الذي غرستها مع أبي، ومازلت أتذكر كل شيء، كان أبي يقول ونحن نغرس الأشجار: يا إلياس هذه الأشجار مثل الأولاد، أغلى من الأولاد ولا أظن أن في الدنيا إنسانا يقتل أولاده، فأحرص عليها إذا مت، أنا أتركها أمانة في رقبتيك فإذا قطعت شجرة قبل أوانها فإنّ جسدي في القبر سوف ينتفض»<sup>(1)</sup> لم يستطع "إلياس" الحفاظ على الأمانة التي تركها له، والده فحسرها في لعبة القمار والتي تركت في نفسه حزنا عميقا «كنت أتعذب وأموت وأنا اخسر الأشجار التي غرستها بنفسي قبل أربع سنين»<sup>(2)</sup> وهذا ما جعله ينتقل إلى الجبل وينعزل بنفسه عن العالم، فالهروب والانقطاع والميل إلى الانطواء والانزواء عن الناس يؤكد على أن "إلياس" لم يستطع تحقيق التوازن بين نفسه وأهل بلده الطيبة، فالاغتراب النفسي غالبا ما يكون نتيجة الغربة المكانية وما يترتب عنه من أحوال نفسية وإحساس بالفقد والضيق.

أما رحلة عذابه الثانية فتمثلت في موت زوجته "حنة" والذي دل عليها المقطع الآتي: «كنت أسمع أصوات الناس مثل نعيب الغربان كنت أرى وجوههم سوداء مثل بول الأشباح وحنّة ممتدة على الفراش وقطرات العرق

(1) الرواية: ص54.

(2) المصدر نفسه، ص56.

فوق ذقنها، وشعرها مثل الأسلاك الخشنة الممزقة، كان شعرها على الفراش وعلى الأرض»<sup>(1)</sup> فهاته الرحلة ألفت بـ"إلياس" في حالة من الضياع والتمزق النفسي، فقد عاش الهموم والحزن مرتين في حياته: الأولى عند قطع الأشجار والثانية عند موت زوجته حيث يقول «لم أشعر في حياتي كلها أن الإنسان يمكن أن يكون غاضبا وحزيناً إلا مرتين: المرة الأولى عندما قطعت الأشجار، والثانية عندما ماتت حنة»<sup>(2)</sup> فشعر بالفقد والحزن مما أدى إلى اليأس والتشاؤم وانكسار الذات، الشعور والإحساس بالفقد (فقد الوطن والأشجار، فقد الأصدقاء، فقد زوجته "حنة"، فقد الأموال)، هذه الصور جميعها لها علاقة باغتراب "إلياس".

ومن مظاهر الاغتراب النفسي عند إلياس هروب زوجته الثانية من البيت دون أن يفهم سبب ذلك مما خلف في نفسه جرحاً عميقاً، والذي ظهر في قوله «كنت حزينا لدرجة لم أتصور أن في هذه الحياة هذا الحزن كله، أو أنّ الإنسان يمكن أن يتحمل حزن بهذا المقدار، وقد قررن في بعض اللحظات أن أقتل نفسي، ولكن في لحظات أخرى شعرت أنني مظلوم وبريء»<sup>(3)</sup> فإحساس "إلياس" «بالضياع وقسوة الوحدة النفسية والإحساس بالعجز والحيرة دفعة إلى الانكفاء على ذاته متخذاً إياها محور حياته كلها؛ وذلك لما انتابه من تمزق داخلي وألم نفسي»<sup>(4)</sup>، فأصبح إلياس بذلك غريباً عن كل ما يحيط به.

كما نلاحظ ملمحاً آخر تمثل في حنينه وشوقه لمرحلة من مراحل عمره، وهي مرحلة الطفولة والبراءة والصفاء التي كان يقضيها مع والده في غرس الأشجار، فهو بذلك يريد الهروب من حاضره الحافل بالتأزمات فالعودة إلى ذكريات الماضي تشعره بالراحة والطمأنينة.

تعيش شخصية "إلياس" أزمات نفسية وصراعات داخلية، ولمواجهتها والتغلب عليها بحث عن حلول أخرى اتخذها وسيلة للتغلب على الصعاب والهروب من الواقع، فذهب إلى الخمر وبها صار ينسى هموم الماضي ولا يتذكر

(1) الرواية: ص 91.

(2) المصدر نفسه، ص 91.

(3) المصدر نفسه، ص 115.

(4) مصطفى بوجمّلين: ومضات نقدية، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة (الجزائر)، ط1، 2014، ص 98.

إلا اللحظات السعيدة، فضلا عن الهروب من غريته الموحشة التي رمت به بعيدا عن الأهل والأوطان، وكذلك الرغبة في السفر والانتقال من مكان لآخر وعدم الاستقرار في الطيبة، إضافة إلى إقامة علاقات زائفة مع كثير من النساء لإشباع حاجاته من الحب.

ومن الحالات الدالة على اضطراب الشخصية و التضاد مع الذات: انفصام وانقسام شخصية "إلياس" ففي بادئ الأمر عندما كان يقطن في الطيبة كان يحبها، متعلق بها وبأشجارها وبعد حدوث مشاكل وتشابكات مع أهلها بسبب قطع الأشجار أصبح لا يطيقها متمنيا زوالها «... ولكن هذه الطيبة المشؤومة لو أن نارا تحرقها طوفان يهيم بكل بيوتها، لو أن شيئا من هذا حدث، لانتهى الأمر الآن».<sup>(1)</sup>

كما أن الفشل في تحقيق الغايات التي سعى إليها "إلياس" كانت باعثا من بواعث اغترابه النفسي جراء الإحباطات المتلاحقة التي انبثق عنها الشعور باليأس والقلق والتيه والضياع وعدم الرضا عن الذات.

كذلك إقامة علاقات جنسية مع نساء كثيرات إشباعا لنزواته العاطفية متعلقا في الوقت نفسه بـ"حنة" حبيبة قلبه الأولى المرأة الوحيدة التي سكنت قلبه حقا «كانت تلبس أول ثوب قدمته لها، كان سلطان معي والعجوز تنظر إلي وفي عينيها ذلك البريق الذي لا تراه إلا في عيون الأمهات، قلت لها أتذكر الآن جيدا كل ما حصل: يا حنة هذا القماش يناسبك لا أريد أن أقول لك كما أقول للنساء وأنا أبيعهن»<sup>(2)</sup> فيشعر بعدها وكأنه ارتكب إثما في حقها لأنه لو أحبها بصدق لما عرف نساء أخريات بعدها، وهذه العلاقات الكثيرة مع النساء تفصح عن الاضطراب النفسي الذي يعاني منه "إلياس".

حدوث تغيرات فضيعة على ملامح "إلياس" حيث بدت عليه علامات الضعف و الخور التي بدأت تبرز على وجهه، وكذلك على جسده الهزيل «أسنانه صغيرة متآكلة، وقد علتها طبقة من سواد، ومكان الأنياب فجوة

(1) الرواية: ص131.

(2) المصدر نفسه، ص139.



كبيرة تبرز تحتها لثة فقدت لونها الأحمر فأصبحت بلون التراب»<sup>(1)</sup> هذه التغيرات تدل على معاناته فجروحه النفسية انعكست على ملاحظه الخارجية.

ومن مظاهر هذا الاغتراب الحوارات الداخلية التي جرت بين "إلياس" وأناه، ويعرف الحوار الداخلي على أنه، «حوار يجري داخل الشخصية ومجاله النفسي أو باطن الشخصية ويقدم هذا النوع من الحوار المحتوى النفسي والعمليات النفسية في المستويات المختلفة للانضباط الواعي أي لتقديم الوعي دون أن تجهر به الشخصية في كلام ملفوظ، ودون أن تلتزم بالترتيب النحوي والمنطقي للكلام وقد سعى هذا النمط من الحوار في الرواية الجديدة التي أفادت علم النفس وتمكنت من فهم الأبعاد النفسية والعقد التي تواجه الإنسان المعاصر»<sup>(2)</sup> فهذا الحوار يتم بين الشخصية وذاتها أي مخاطبة النفس عما يجول في خاطرها و قد احتوت رواية "الأشجار واغتيال مرزوق" على مشاهد حوارية داخلية من أمثلتها: مخاطبة "إلياس" نفسه عن الحالة التي آل إليها بعدما سلبت منه أشجاره والألم الذي خلفته في نفسه، ومن ذلك الحين أصبحت حياته كلها تعاسة «وقلت لنفسي ذات مرة ماذا استفاد أهل الطيبة عندما قطعوا أشجار إلياس وجعلوه تعيسا هكذا؟»<sup>(3)</sup>.

أما "منصور عبد السلام" الشخصية الرئيسية في الرواية فهو البطل والسارد في آن واحد، عاش في وطنه حياة لم يعرف فيها الاستقرار وراحة النفس منذ الطفولة، ومحنته الحقيقية بدأت بعد تسريحه من العمل الذي أدى به إلى التيه والضياع، وأصبح يشعر بأن أحلامه انكسرت وحياته تغيرت لتبدأ رحلة المعاناة في العالم المليء بالظلم والشور الذي أفقده ثقته بنفسه، وأصبح يشعر بأنه ميتا ولا وجود له، وأصبح يحلم بأشياء كثيرة يريد تحقيقها في الحياة، وحلمه الأول هو القضاء على الخونة لأنهم السبب في المعاناة.

يحاور "منصور" شخصا كان صديقا له اسمه "أسعد النوري" درس في الجامعة وعملا في السياسة وعاشا فترة في

السجن، لكن "أسعد" تغيرت ظروفه وأصبح ثريا ينتمي إلى الطبقة الحاكمة.

(1) الرواية: ص75.

(2) هيام شعبان: السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، ط1، 2004، ص220.

(3) الرواية: ص09.

« لقد فقدت ارتباطي بعالمكم الواقعي. أريد أن أحلم فقط، ولكن هل تعرف بماذا أريد أن أحلم؟

- أي شيء تحلم به مثل فسوة في الهواء !

- ولكن هل تسمح لي بهذه المتعة الصغيرة

- أية متعة

- متعة أن أحلم بنهايتكم، عندما أراكم معلقين من أرجلكم!<sup>(1)</sup>.

يتضح من خلال حوار "منصور" أنه يعلن انتقامه من طبقة الحكام الظالمة التي تسيطر على العالم ويؤكد أنه يشعر بالرضا عند رؤيتهم معلقين في حبال المشانق في أعمدة النور وساحة المدينة، لأنهم السبب فيما يعيشه من غربة نفسية ومكانية هو وأفراد مجتمعه، فهو لا يرضى بالواقع الذي يعيش فيه لأنه يسبب له المتاعب والآلام النفسية وينسيه وجوده وكيانه كشخص يريد العيش والاستمرار «مرة أخرى أصرح بأنني غير موجود، ميت، غبت عن الوجود منذ فترة طويلة»<sup>(2)</sup>، فهو يشعر بأنه مات، لكن طموحاته هي التي ماتت وقتلت رغبته في العيش بسبب الأوضاع التي يمر بها.

ينتابه شعور آخر هو حالة الخوف من الأشياء المحيطة به من السفر، الجمارك، الخوف من قول الحقيقة التي يعرفها عن "إلياس نخلة" الذي كان يجلس معه في القطار.

يعتبر الخوف من الأمراض النفسية التي يصاب بها الإنسان وقد قام "سيغموند فرويد" بمعالجة حالات كثيرة عن طريق عملية التنويم المغناطيسي والقضاء على أسباب الخوف الذي يعاني منه المرضى، فهو دائم الحوار مع نفسه يطرح أسئلة ثم يجيب عنها حسب قناعته ليطمئن نفسه «لا تخف يا أستاذ منصور، يا أستاذ الجامعة، سم الأشياء بأسمائها، لا تخف، الرجلان اللذان كانا مجرد رجلين يقومان بواجب»<sup>3</sup> يستمر حوار الداخلي ولا يتوقف وهذا

(1) الرواية: 314.

(2) المصدر نفسه، ص192.

(3) المصدر نفسه، ص196.

دليل على أنه يعاني حالة الاضطراب وعدم الاستقرار مع ذاته، لأن الضغوط التي تمارسها الدولة على الشعب تجعلهم يخافون ولا يؤمنون بشيء.

يتذكر "منصور" بحرقه منظر صديقه "إلياس" مسافرا حاملا كومة ملابس دلالة على الترحال و عدم الإستقرار محدثا نفسه بالحزن لدرجة البكاء، متمما أنه رجل حالم مريض سوف يتهاوى حلمه ويسقط، يرى بأن الدنيا غاوية حقيرة ضنكة لا رفيق له فيها سوى العرق، فهو صديقه في رحلة الحياة الكئيبة التي لا يستطيع مواصلتها دونه، فهو ينسيه حالة اليأس والعزلة والشعور بالوحدة، ويخبر نفسه أنه سوف يتحطم ويتحول إلى كومة رماد فالأحكام الصادرة عن العرق لا تمهه، لأنه لا يستطيع التوقف عن الشرب ولو توقف لمات من كثرة الآلام التي تختلجه، كما أن القيم لا تعني له شيئا مقابل ما يعيشه، «فالحوار الداخلي يصدر عن اغتراب يملي على المغترب أن يحاور طويلا شيئا غريبا أضيف إليه، وعن وجع داخلي مستدم يحول الحوار الخارجي إلى أمر نافل، فلا يدرك شقاء المعذب المخذول إلا من قاسمه تجربته»<sup>(1)</sup> نفسية "منصور" مرهقة تبعا للأوضاع التي يعيشها.

تتأزم حالته النفسية ويشعر بالغبرة عندما يُسجن وخاصة سجنه الذي يجهل أسبابه باعتباره لم يفعل شيئا ليعاقب عليه، وعند بقائه فيه كانت تراوده فكرة البكاء بسبب الظلم الذي تعرض له، لكن لنسيان الأحزان والهجوم يبدأ بالحلم لأنه يخلصه من العذاب النفسي، فما أصعب أن يفقد المرء حريته ويعاقب على جرائم لم يرتكبها.

تستمر خيبات الأمل الواحدة تلو الأخرى، وتبدأ معها رحلة الاغتراب بسبب فقدانه وظيفته وانعزاله عن أفراد مجتمعه، ثم سجنه ولم يوفق أيضا في حياته العاطفية على الرغم من أنه أحب الكثير لكنه ظل وحيدا.

يسافر "منصور" في القطار منكبا على كتبه لا يريد التفكير في شيء متمنيا العودة إلى الطين، يستمر القطار في السير كدليل على التنقل والبعد والتوجه وحيدا نحو المجهول في كل مرة، ويرى بأن الكتب هي السبب في

<sup>(1)</sup> فيصل دراج: الذاكرة القومية في الرواية العربية في زمن النهضة إلى زمن السقوط، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008، ص138.

العذاب والانعزال لأنها أوجدت بينه وبين الناس فجوة سحيقة، وما كان يريجه سوى النسيان الذي بدونه كان سيموت كمدا ضحية علمه و ثقافته.

ومن بين الأشياء التي تجعل "منصور" يشعر بالاغتراب النفسي والتفكير في الرحيل دون عودة، هي المشاكل الموجودة في بلده «إن الحديث عن بلادي يولد في نفسي حزنا مبكرا»<sup>(1)</sup> لأنه من الصعب على المرء العيش في مكان تسوده الطبقية وتغيب فيه العدالة الإجتماعية، حيث يصبح الوطن بمثابة سجن كبير، فهو يتصور حياته تافهة لا معنى لها، وأن الوطن أصبح كابوسا يطارد الإنسان أينما ذهب ويشعره بالقلق والتوتر ويرى بأنه خلّف في نفسيته حزنا وألما و حرقة.

لا يعاني "منصور" من وطنه والمشاكل الموجودة فيه فقط، بل أصبح يعاني من نفسه أيضا فهو لا يحب سماع صوته لأنه أصبح يشبه عواء الكلاب، لدرجة أنه لا يطبق الكلام ولا يحب رؤية وجهه في المرآة، وكلما جلس وحده بدأ يشتم نفسه وهذا دليل على أنه يعاني من مرض نفسي فهو يعترب عن كل شيء حتى عن نفسه، ولا يحتمل أي شيء يضايقه حتى الهواء الذي يتطاير في الفضاء، لذلك فقد قرّر حلق ذقنه دون النظر في المرآة، تموت رغبات كثيرة عند "منصور" ويصير إنسانا متشائما « والتشاؤم قاد منصور إلى العزلة، ثم إلى الكآبة انطوى على نفسه، لم تعد الضحكة تزور فمه وحتى الابتسامات أصبحت حزينة، صغيرة، حتى أنه كان يحس بالجرح إذا قبض على نفسه متلبسا بالضحك. لقد نسي هذه العادة، كما نسي عادات أخرى غيرها»<sup>(2)</sup>.

لا يريد تذكر الجنديّة التي أخذت منه ثلاث سنوات وجعلته يشعر بالحزن بسبب فقدانه حريته وإصابته بطلقة في رأسه لدرجة أنهم اعتقدوا أنه مات، إذ كانت تنتابه حالات نفسية قوية تجعله يبكي مثل الأطفال دون توقف.

(1) الرواية: ص245.

(2) المصدر نفسه، ص281.

التعب النفسي الذي يعاني منه "منصور" ليس له علاج، لأنه ذهب إلى الطبيب وأخبره بأن الإصابة الموجودة في رأسه سوف تُشفى بالأدوية، أما الجرح النفسي فهو المسؤول عنه، لذا يجب أن يكون طبيب نفسه ويحترم مواعيد النوم وعدم الإكثار من القراءة والتقليل من المنبهات وعدم التدخين.

يغترب "منصور" كلما تذكر الحرب التي خلفت فيه آثارا كبيرة لم يستطع التغلب عليها أو مواجهتها، إذ يقول أصدقاؤه: أنه ظل يعاني من حالة الكآبة والعزلة فترة طويلة فما كان يعذبه أكثر هو التاريخ الذي درّسه في الجامعة وسعى لتغييره والكشف عن حقيقته، فهو يرى بأن كل هذا أصبح أكذوبة مما جعله حزينا «أصبحت مثل إبريق مثقوب القعر، لا يستقر فيك سوى الحزن، إن الحزن كثيف لدرجة أنه يلتصق بجوانب الجسد من الداخل يلتصق و لا يزول»<sup>(1)</sup>، فهو لا يعرف الفرح لأن الحزن أصبح رفيقه الدائم في الحياة.

يسافر "منصور" في القطار ويتذكر كل شيء لكنه يحاول النسيان فلا يستطيع «وبكيت. بكيت كل شيء: الوطن، رحاب وشعرها الذي يشبه ضوء القمر. بكيت الأحوال الذي ضربني بمنفضة السجائر...وبكيت أيام السجن والجوع»<sup>(2)</sup> ويجزن من جديد لمقتل صديقه "مرزوق" والظروف الغامضة التي مات فيها.

عاش "منصور عبد السلام" مشاكل وهموم كثيرة في وطنه وهذا ما جعله يحس بالغربة والآلام التي جعلته يتعب في الفترة الأخيرة، حيث كان يقضي معظم وقته في غرفته داخل الفندق، صاحب الفندق "أسعد مرتجي" رجل مسن يجب الاطمئنان عليه وذات يوم سمع صوت البكاء، لذا توجه نحو غرفة "منصور" فوجده قد أطلق النار على شبحه في المرأة، علامة فقد عقله و إصابته بالجنون، بعدها نقل من "فندق نزهة الشرق" الذي كان يرتاح ويقوم بالكتابة فيه إلى مكان آخر.

«- إلى أين... إلى أين

وأين يمكن أن يأخذه»

(1) الرواية: ص320.

(2) المصدر نفسه، ص341.

- إلى السجن

-... إلى مستشفى المجانين

- والأوراق... والمسدس؟»<sup>(1)</sup>.

نستنتج أن الاغتراب النفسي برز بشكل كبير في الرواية من خلال شخصيتي البطلين "إلياس ومنصور" المتجلى في الحالات النفسية التي عاشها كل منهما.

#### 4- الاغتراب السياسي:

تجلى الغربة السياسية في عدم قدرة الفرد على المشاركة في القرارات المهمة في الحياة السياسية، التي تؤدي إلى الإحباط وعدم الثقة بالنفس، فالفرد الذي يمتنع عن الخضوع لهذه القرارات يضطر لمواجهة التمرد عليها وتجلى هذا في رواية "الأشجار واغتيال مرزوق".

عندما ابتعد "إلياس" عن الطيبة وأهلها متوقفا على ذاته، ما أدى به إلى الانعزال عن المجتمع وقضاياه وعدم انتمائه له، حيث ترك كل شيء، فهذا الاغتراب الاجتماعي ناتج عن الاغتراب السياسي الذي يعد جزء من المجتمع لأن السياسة بدورها جزء منه، فالتسعت بذلك الهوة بينه وبين النظام السائد في بلده وبين أحلامه الضائعة في أحضان النظام القائم، حيث تم سلب "إلياس" الأرض التي يمتلكها لأنه كان يريد أن يزرع الأشجار وهم أصروا على زراعة أرض الطيبة بأشجار القطن حيث يقول «بدأت الزراعة تتحول في بلدتنا، وتحولت معها الحياة. فبعد أن كانت طيبة مثل بستان كبير، فيه كل ما تشتهييه من الفواكه والخضار. تحولت إلى أرض قاحلة جرداء... فبعد أن زرعت الأقسام الغربية من البلدة بالقطن، وأعطت محاصيل وفيرة غيرت حياة الناس. قصوا أشجار الطيبة كلها، حفروا الآبار وتحولت البلدة إلى مرج أبيض...»<sup>(2)</sup> لم يجد "إلياس" أمامه بديلا آخر سوى الانسحاب من الأرض وعدم الخضوع لأوامرهم، فعجزه عن تغيير الواقع جعله يتخلى عن الحياة السياسية نهائيا فهنا «يعلن

<sup>(1)</sup> الرواية: ص 387.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 53، 54.

الإنسان المغترب أنه لا يقوى على مواجهه النظام السائد فيلجأ إلى الهروب أو الانسحاب من الواقع بديلا عن العمل على تغييره»<sup>(1)</sup> وهذا ما أدى إلى انعزال "إلياس" عن المجتمع وقضاياه.

يصور "إلياس" مشروع الإنسان العربي، مهدور الحقوق، مسلوب الإرادة، باحث عن الحرية المفقودة و عن وطن يأويه ويحتضنه ويدافع عنه ويعطيه حقوقه، حيث تم الكشف عن عودة هذا الانفصال بين الفرد والمجتمع وما اعتراه من تفكك إلى ضغوط الواقع السياسي و المعيشي.

نرى بأن الإنسان على مر العصور كان عرضة لانتهاك الحقوق وسلب للحريات باسم الأنظمة التي تفرضها الدولة على أفراد مجتمعاتها، حيث يستبعد الفرد من جانب الحاكم باسم النظام، ولتحقيق العدالة يجب تحقيق التوازن بين الأفراد ونظام الجماعة.

كما نجد "منصور عبد السلام" بعد طرده من الجامعة، محروما من أبسط حقوقه كمواطن عادي حتى السفر لأن السلطات تقوم بتعذيب جميع من يحاول مساعدته «نعم أنه يسافر. ولكن هذا الحق البسيط المتاح في كل الدنيا، حرم منه ثلاث سنوات. حرم منه وحرّم من غيره. كانوا يريدون أن يدفنوه وهو حي. بعد أن سرح من العمل، قالوا لكل الذين فكروا يوما أن يساعده في عمل آخر: سوف يأتي دوركم، ولن تكون الأمور كما تتصورون، فالقانون يساوي بين المجرم والشريك»<sup>(2)</sup> يعيش "منصور" في مجتمع يقوم على عدالة ظالمة، كما أن الدولة هي التي تسيطر على الشعب وتسيّر قدره على حسابها.

يعاقب "منصور" على جرائم لم يرتكبها ولا يستطيع تقديم أي شكوى لأن لا أحد يسمعه، فالعالم العربي تحكمه طبقة ظالمة لا تعرف إلا مصالحها الخاصة التي تعمل على حساب أفراد المجتمع وهدفها الوحيد هو المال وهذا ما اتضح من خلال الحديث الذي دار بين خاله وأمه، إذ يقول «أحمد حسين، زعيم الاشتراكيين في مصر يريد أن يأخذ أموال الأغنياء، ويجعل جميع الناس شحادين، إنه حاقد على كل واحد يملك قرشا، والمستقوف

(1) حلیم بركات: الإغتراب في الثقافة العربية، متاهات بين الحلم والواقع، ص175.

(2) الرواية: ص179.

يريدون هكذا أيضا، بل ويريدون أن يجعلوا الدنيا إباحية، الولد يتزوج أمه، أخته، ليس عندهم دين، ليس عندهم حرام وحلال»<sup>(1)</sup>، السلطات السياسية ظالمة ولا تعرف القيم والمبادئ الأخلاقية وهي تساوي بين الإنسان والحيوان من خلال التطرق لقضية زواج المحارم وهي علاقات محرمة في الدين الإسلامي تدخل ضمن قضية الحلال والحرام.

تصور لنا الرواية وحشية الحكام وظلمهم، وأنّ مصالحهم فوق كل شيء لأنهم يحلون الحرام ويحرمون الحلال وهذا ما جعل "منصور" يغترب عن وطنه ويبتعد لأنه لا يستطيع تحمل القوانين الفاسدة.

سجن "منصور" وهو لم يرتكب أية جريمة «لماذا نحن موجودون هنا؟ هل فعلنا شيئا نستحق من أجله أن نسجن؟ أفكارنا»<sup>(2)</sup> فالسلطات تريد إبعاد فئة المثقفين وإسكاتهم والحد من أفكارهم لأنّ الحقائق تؤذيها. وهذه الأخيرة قامت بنفي والده إلى الهند ولا أحد يعلم سبب نفيه.

يسترجع "منصور" أيام المدرسة والمظاهرات التي تقام يوميا وأنهم كانوا يأمرونه بترك السياسة وقضية فلسطين للحكومة لمعالجتها لأنها شؤون كبيرة لا يمكن التدخل فيها، وقد كانت فوضى كبيرة تحدث في ساحة المدينة لكن لا أحد يفهم .

يتألم الإنسان بسبب ما يحدث في الوطن العربي من حروب ومظاهرات واضطرابات وصراع بين الطبقة الحاكمة وأفراد المجتمع، فالسياسيون والحكام العرب يقومون بالضغط على أفراد المجتمع من خلال القوانين التي يقومون بفرضها عليهم وتضييق سبل العيش وخاصة على الطبقة المثقفة التي تسعى إلى كشف الحقائق وفضح الحكام، وهذا ما يدفع بالإنسان إلى الاغتراب والابتعاد عن وطنه بحثا عن وطن أفضل يأويه ويؤمن له متطلبات العيش الكريم بعيدا عن التهديد والتسلط « والحافز الأول والأهم إلى المهاجرة فقد كان طلب الرزق ويتلوه الهرب من الظلم والفساد»<sup>(3)</sup>.

(1) الرواية: ص210.

(2) المصدر نفسه، ص218.

(3) سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998، ص94.



يرى "منصور" أن الحكام العرب هم السبب في القضاء على طموحات الإنسان وهو يريد الانتقام منهم وتعليق رؤوسهم في جبال المشانق لأنهم يصدرن قرارات تقوم بخدمتهم فحسب، ويصف الحكام العرب لـ "كاثرين" بأنهم لا يجيدون القراءة والكتابة ولا يعرفون سوى الأكل والنوم وأنهم يتميزون بالقسوة والوحشية في المعاملة والعنف والعصبية أيضاً، لدرجة أن الشرر يتطاير من أعينهم. فـ "منصور" يعاني من الاغتراب السياسي ويعمل جاهداً إلى تغيير نمط السياسة أو السلطة بكل ما أوتي من قوة والسلطات لا تريد الشفقة عليه «أمامك أحد أمرين، أما أن تصبح رجلاً معقولاً وواقعياً أو أن تجن»<sup>(1)</sup> فهم يرونه بأنه هو الشخص الغريب.

يفقد "منصور" كل شيء ولا يستطيع تقرير مصيره وليس له حق في التعبير عن نفسه «لكن أريد أن أفهم، إلى متى سوف تستمر المعاملة هكذا؟ لا عمل، لا جواز سفر... وحتى كتاب أريد أن أطبعه لا توافقون»<sup>(2)</sup>.

ينتقل بعدها للحديث عن مقتل "مرزوق" وهو "مرزوق عبد الله" مدرس مادة الجغرافيا، عمره ثلاث وثلاثون سنة، أمه هايلة، له ثلاث أولاد "باسم"، "أمل"، "هاني" تم قتله بطريقة مجهولة ولا أحد يعرف عنه شيئاً أو بالأحرى تم اغتياله، ومقتله مجرد خبر ثم نشره في الجرائد «اسمع يا مرزوق أنت أرعن، أنت متهور، أتركهم، أنهم ذئاب جائعة، ألا تتذكر كم تعذبت؟ الجندي، الجامعة والمخبرون، تم التسريح والجوع والركض وراء السراب... ما دمت تعرف هذا كله لماذا تعاند!»<sup>(3)</sup>.

تجسدت الغربة السياسية في الرواية من خلال شخصية "منصور عبد السلام" بشكل واضح من خلال رفضه وتمرده على الواقع السياسي والسلطة، فهو يريد زوال هذه الأنظمة الفاسدة وقيام عالم صالح لا يشوبه الفساد كما يرى بأن لا علاقة لأفراد المجتمع بما يحدث لأن السلطات هي التي تقرر كل شيء وهو نفس ما تحدث عنه "إلياس نخلة" وما عاناه مع السلطات السياسية.

(1) الرواية: ص 321.

(2) المصدر نفسه، ص 326.

(3) المصدر نفسه، ص 350.

## 5- الاغتراب العاطفي:

تميل الذات البشرية إلى الانعزال والتفرد وللتخلص من هاته الظواهر والخروج من حالتها الاغترابية، لا بد للذات من الاندماج مع ذات أخرى تقيم علاقات اجتماعية وعاطفية معها قائمة على التفاهم، أما إذا كان العكس فيحدث بذلك الاغتراب، فالحب يعتبر بديلاً للغربة، ولكن الإخفاق فيه سيقود المحب إلى الاغتراب العاطفي وهذا ظهر في رواية "الأشجار واغتيال مرزوق" من خلال:

انهيار العلاقة بين "إلياس" وبين أهل الطيبة وانعزاله عن أرضه وأشجاره جعله يعيش حالة من الحرمان العاطفي. فما كان أمام "إلياس" إلا أن يبحث عن طرق أخرى لتعزيز علاقاته مع الآخرين فلجأ إلى الحب «الحب على وفق هذا التوصيف منهج تعويضي يعتمد المغترب للخروج عن عزلته الاجتماعية»<sup>(1)</sup>، وهذا ما جعله يبحث عن الحب المفقود في حياته والذي وجدته في "حنة" التي خفت من اغترابه، فحنة المرأة التي دخلت قلب "إلياس" وهي الزوجة الأولى ابنة العجوز التي عرفها في قرية المغرب وكان "إلياس" يذهب إلى هذه القرية لبيع البضائع وهناك تعرف عليها بفضل حمارة "سلطان" والتي رأى فيها "إلياس" شيئاً غريباً لا يشبه باقي النساء التي عرفهن من قبل «قلت في نفسي إن هذه المرأة لا تشبه أي امرأة أخرى لم تكن جميلة ولكن فيها شيء لم أستطع أن أفهمه شيء يؤثر في الإنسان، يؤلمه ويفرحه!»<sup>(2)</sup>.

ولم تظل "حنة" إلا فترة قصيرة مع "إلياس" وماتت في مخاضها وموتها ترك جرحاً عميقاً في نفسه، فهي كانت الحياة بالنسبة له، فهذه الصدمة العاطفية جعلته يحس بأنه مغترب.

بعد وفاة "حنة" عاش "إلياس" تجارب عاطفية عابرة ومتعددة حيث كان ينتقل من واحدة لأخرى، فحالة الغربة والوحدة التي عان منها "إلياس" بعد موت "حنة" جعلته يرتقي في أحضان النساء للتخفيف من حدة اغترابه حيث يقول «عرفت كثيرات ... ركضت في الليالي المرعبة، أتصور كل ظل شبوح وكل شبوح امرأة، لقد عرفت

(1) محمد راضي جعفر: الإغتراب في الشعر العراقي المعاصر، ص 16.

(2) الرواية، ص 85.

النساء، وقضيت ساعات هنيئة ورطبة، نمت مع نساء سمينات، ومع نساء ضعيفات مع أمهات ومع باكرات ولكن في كل مرة أخرج أكثر بؤسا. هل هي حنة التي هدمت روحي؟ فكرت بالأمر طويلا. قلت لنفسي انسى كل شيء. يا إلياس، وابدأ حياتك مع النساء من جديد»<sup>(1)</sup> ورغم أن "إلياس" عرف نساء كثيرات إلا أنه ظل يشعر بحالة من الفراغ العاطفي ويتساءل ما إذا كانت "حنة" هي سبب معاناته، ولم تستطع امرأة أخرى أن تحل مكانها وأن صدره لا يليق لغيرها « في هذا المكان تنام امرأة نامت هنا وستظل حتى يأتي محراث ويقلب الأرض ويجول عظامي إلى تراب، إلى نخالة»<sup>(2)</sup> ف"إلياس" لم يشعر بالسعادة إلا معها فهي من عوضته عن قساوة الحياة التي كان يعيشها. ومن بين النساء اللاتي عرفهن "أم البيادر" وهي المرأة التي التقى بها إلياس في المدينة التي انتشلتها في بيتها وقاسمتها الفراش التي تنام عليه والماء الذي تشربه، ورغم إظهار حبها ل"إلياس" إلا أنه أساء إليها ولم تستمر علاقته بها، فقام بهجرها على الرغم مما فعلته معه وقرر ترك بيتها، وكذا زواجه من المرأة الثانية التي التقى بها في بيت العجوز اللعينة بالإضافة إلى "أدمة" أخت النصارويين، حيث اتسمت علاقته بهن بنوع من الاضطراب لأنه ظل يتفكر "حنة" دائما وهذا ما أدى إلى توتر علاقاته بزوجاته «ولكن عندما نعود في المساء ترسم فوق رأس صورة "حنة"، أتذكر وجهها الحزين، طعامها الذي يفوح برائحة الفلفل والنعناع، أتذكر أشياء كثيرة وعندما أتذكر تضيع مني الكلمات. لا أعود أفكر إلا بها وتغضب هذه تشمتني، تسخر مني، تقول لي: وتريد أولاد أيها الدباغ»<sup>(3)</sup>

ف"إلياس" لم يجد الحب الذي يعوضه عما فقدته من قبل، فإخفاقه فيه زاد من حدة اغترابه الاجتماعي.

أما المجتمع فينظر للحب والعلاقات بين الجنسين على أنه حالة من الوهم والزيغ والكذب وليس له أساس من الصحة، فنظرته لا تتعدى على أن الحب هو مجرد فرصة لإشباع حاجات الرجل وغرائزه الشهوانية وقلما نجد

(1) الرواية: ص128.

(2) المصدر نفسه، ص105.

(3) المصدر نفسه، ص129.

قصة حب تكلفت بالزواج والإستقرار، كما يحق للرجل أن يحب ويخون على عكس المرأة الذي يعد الحب لديها عيباً.

ونجد الاغتراب العاطفي عند "منصور عبد السلام" فهو شخص عادي مثل باقي البشر « ليس طويلاً وليس قصيراً، ليس نحيلاً ولا مفرطاً في السمنة تجاوز الخامسة والثلاثين، مدخن، بشرب، يقرأ كثيراً، له عدد من الأصدقاء، غير متزوج»<sup>(1)</sup> يتحدث عن تجاربه العاطفية والنساء اللواتي عرفهن في حياته، فلقد عرف نساء كثيرات سواء في المدينة التي كبر فيها أو في أوروبا، حيث أكمل دراسته وحياته العاطفية التي لم تكن بعيدة عن حياة "إلياس نخلة" لكن لكل واحد منهما تجربته الخاصة، فلقد أحب منصور فتاة حبا جماً اسمها "رحاب" وكان يحب دائماً وصفها وتأملها.

ويتذكر الحوار الذي دار بينه وبين هاني، « منصور... هناك موضوع خاص أريد أن آخذ رأيك فيه !

- أحسست بخوف مفاجئ، تحرك شيء في داخلي يندريني، وددت لو يصمت، ليته لا يسأل، قلت:

- تفضل

- أتعرف رحاب؟

- قدرت بن الحديث سيكون عن امرأة، ولكن لم أتوقع أن يسألني عنها، انقبض قلبي...

- قلت بصوت مخنوق، وكأني ابتلع دواء مرا:

- أعرفها»<sup>(2)</sup>.

يجيب "منصور" عن الأسئلة التي يطرحها هاني المتعلقة برحاب ويتساءل مع نفسه لماذا اختاره هو دون غيره حيث يعتبر الحوار الخارجي (ديالوج) «حوار يتناوب فيه شخصين أو أكثر الحديث في إطار المشهد داخل العمل القصصي مباشرة، ويعتمد الحوار المباشر على المشهد الذي يتولى بدوره إظهار أقوال الشخصية، وهذا الحوار له

(1) الرواية: ص 274.

(2) المصدر نفسه، ص 231.

حضوره الواضح في الكتابة الروائية العربية التقليدية، وهو أكثر انتشارا فيها، ويستعمله الروائيون للكشف عن الملامح الفكرية للشخصية الروائية ولتحديد علاقة زمنية ظاهرة في المشهد من خلال وضع شخصيات في إطار الفعل والحركة والنطق، فتتوقف اللقطة عن فعل الشخصية وحوارها»<sup>(1)</sup> فهو حوار مباشر يتعلق بامرأة أحبها "منصور" ويسترجع الأوقات الجميلة التي قضاها معها ويتألم في نفس الوقت ويتحسر لأنه لم يفتحها بالموضوع ويتمنى لو أن رحاب لا تقبل بهاني وترفضه لأن الرفض هو الحل الوحيد الذي بقي أمامه.

فالحب هو أجمل شعور يعيشه الإنسان في الحياة وخاصة مع الشخص الذي يحب، لكن "منصور" فقد حبه وكان يعتبره مجرد حلم أفاق منه، لأنها في النهاية تزوجت "بهاني" وأصبحت لها أولاد ونسيته.

ليست "رحاب" المرأة الوحيدة التي أحبها في حياته، فلقد أحب من قبلها "ليلي" وفقدتها وكان يتمنى الزواج بها لكنها تزوجت وتركته « تزوجت ليلي ومن سخريات القدر أنني كنت في موكب عرسها»<sup>(2)</sup> وهو لم يحب "رحاب" و"ليلي" فقط بل أحب "وداد" أيضا، وهي ابنة الجيران وكان يجب النظر إليها «كنت أرى سيقانها الحمرية البيضاء وهي تشطف ساحة الدار فأحس أسياخا من نار تحرقني، ومن وراء الستارة المسدلة أتبعها! كنت أجن وأنا أراها ترفع رأسها بظهر يدها تقذف شعرها إلى الورا. كنت أحس حبات العرق وهي تنزلق على ذقنها، على رقبتها مثل جمرات ملتهبة تسقط في دمي»<sup>(3)</sup> لكنها هي أيضا تزوجت وسافرت مع زوجها.

يعيش "منصور" في كل مرة غربة عاطفية وهذا ما يجعله يشعر بالحزن لدرجة كبيرة لأنه لم يوفق في أية علاقة وكان يحاول نسيان همومه بالشرب «الحزن في قلبي، في عيني. الحزن مثل طبقة الزيت الطافية فوق دمي. تغلف كل شيء تطوقه»<sup>(4)</sup> فهو يشعر بالحزن اتجاه كل علاقة مر بها فهو لم يدق طعم السعادة مطلقا لأن الدنيا تعكس في وجهه كل شيء.

(1) هيام شعبان: السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، ص214.

(2) الرواية: ص235.

(3) المصدر نفسه، ص235.

(4) المصدر نفسه، ص239.

يغادر "منصور" الوطن لإكمال الدراسة العليا في أوروبا، حيث يتعرف هناك على فتاة اسمها "كاثرين" وهي فتاة أوروبية التقى بها عندما كان يدرس في الجامعة وظلت علاقتهما لمدة أربع سنوات، فقد أحبها كثيرا وحدثها عن بلده وعن الصحراء ووصفها لها كما حدثها أيضا عن البحر في شهر شباط ودرجة الحرارة وأخبرها أنها سوف تتعلم لغته العربية، لكن فجأة تتغير نظرتة و يقرر الانفصال عنها والعودة إلى وطنه بسبب الاختلاف الموجود بين الحضارتين. لأن المجتمع الغربي يحق له فعل كل شيء عكس المجتمع الشرقي فله قوانين وعادات وتقاليد تحكمه.

يحزن "منصور" مجددا على "كاثرين"، لكن هذه المرة عكس العلاقات السابقة لأنه هو الذي تخلى عنها وتحولت علاقتهما إلى صداقة، فهو دائما يحس بالغيرة العاطفية بسبب الظروف والأوضاع الموجودة في وطنه. يتعرف "منصور" من جديد على "سهام" بنت "الحاج زهدي الصناديقي" ويتقدم لخطبتها، لكن والدها ظل يؤجل الموضوع لأنه لا يرغب تزويجه إياها وهو يبحث لها عن زوج غني، وبعد فترة تزوجت "سهام" من مهندس وسافرت معه.

يوصل سفره في القطار وعند إحدى المحطات التي يتوقف فيها تصعد امرأة ومعها فتاة شابة جميلة يتعلق بها منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها ويبدأ بوصفها «عينها إلى الأرض ، الدم يتفجر من خديها والأهداب طويلة، طويلة مثل خيمة سوداء، مثل عرائش العنب»<sup>(1)</sup> ينتعش قلب "منصور" من جديد لأنه وجد الفتاة التي أعجبته لكن المرأة التي كانت معها تمنعها من النظر إلى الرجال والحديث معهم.

يتضح من خلال الرواية أن الغربة العاطفية مجسدة بشكل واضح من خلال ما عاشه "إلياس نخلة" وكذلك "منصور عبد السلام" لكن الواقع يقف حاجزا أمام الطموحات والأحلام ويبقي كل واحد منهما غريبا منعزلا رغم كثرة العلاقات التي مرا بها.

(1) الرواية: ص 269.

## 6- الاغتراب الثقافي:

يحدث الاغتراب الثقافي عند الطبقة المثقفة من المجتمع التي تحمل قدرا من العلم والوعي بقضايا الأمة وما يعانیه الفرد في المجتمع، إذ نجد أن المثقف يغترب عندما تتحطم آماله وتصطدم بالواقع المر الذي يتخبط فيه ويعجز عن التأقلم مع الأوضاع السائدة، فيرى بأنه لا يوجد معنى لحياته وأن طموحاته وتطلعاته ذهبت سدا ولم يستطع تحقيقها.

تعد الثقافة عنصرا أساسيا من العناصر المكونة للمجتمع لأن الأمم يُنظر إليها على حسب ما تملك من ثقافة ومثقفين، فالمثقف هو الإنسان الناطق باسم أمته والمعبر عن الأحوال التي يعيشها، والثقافة هي نقطة وصل بين الأمم بما تنتجه من علوم وآداب، ولكل أمة ثقافتها الخاصة بها التي توصلها إلى مصاف العالمية.

لقد أبدع الروائي "عبد الرحمان منيف" في التعبير عن الاغتراب الثقافي في "رواية الأشجار واغتيال مرزوق" من خلال الحديث عن "منصور عبد السلام" فهو الإنسان المتفق الذي يحاول التعبير عن وطنه بكل ما يحمله من أفكار وأراء ومحاولة تغيير الطبقة الفاسدة التي تحمل دور العلم والثقافة وتمجّد المال وتسير العلم لخدمة مصالحها «الكتب عملة مزورة تروج لها الحكومات والتجار، ولكن القضاة وحماة الفضيلة يخافون من الكتب، خاصة تلك التي تتحدث عن بدء الخلقية والمرأة والاشتراكية»<sup>(1)</sup>، فهو يرى بأن الحكام هم الذين يغيبون الثقافة ودور المثقف و"منصور" هو ذلك المتعلم الذي انفتح ذهنه على الثقافة العربية بكل ما تحمله من علوم لأنه يجب القراءة والمطالعة.

يهتم "منصور" بقراءة الكتب المختلفة منها العربية والأجنبية لكن ما يجعله يحس بالاغتراب هو نظرة المجتمع، لأنهم يرون بأن المثقف هو الإنسان الغريب الذي يحمل أفكارا خيالية، لا يمكن تطبيقها في الواقع، فهو دائم التأسف لأنه يعيش في مجتمع لا يعطي قيمة للعلم والمعرفة، فهم لا يجيدون أبسط الأشياء وعندما تأتي رسالة

(1) الرواية: ص 189.

لأحد منهم يأخذها لشخص آخر يقوم بقراءتها له بمقابل، فإحساس "منصور" الدائم بالاغتراب داخل مجتمعه ناتج عن الظروف الصعبة التي يعيشها، فهو لا يستطيع تغيير الواقع لأنه يرى بأنه أمر مستحيل كما لا يمكنه تقبل الأوضاع السائدة التي تقتل فيه جميع الآمال والتطلعات.

ويعتبر التاريخ السجل الحقيقي للأمم، فهو يحفظ جميع الأحداث ولا يمكن التعرف على مجتمع ما إلا بالعودة إلى التاريخ، و"منصور" هو أستاذ التاريخ المعاصر يقوم بإلقاء المحاضرات على الطلبة وبعض النظريات التي توضح التاريخ هل هو علم أم أدب « التاريخ قصة طويلة وحزينة، تمتلئ بالكاذب، وقد كانت بهذا الشكل منذ البداية، وسوف تستمر هكذا»<sup>(1)</sup> "منصور" بفكره المنفتح والمليء بالعلوم والمعارف يريد إقناع الطلبة وأصدقائه بأن الأفكار الموجودة في التاريخ مجرد أكاذيب لا صحة لها، وأول غربة أحس بها عندما أراد الكشف عن حقيقة التاريخ بالتدريج ويرى بأنه مجرد أقوال كاذبة يتم تدريسها، وإعطاء معلومات خاطئة للأجيال الصاعدة، وهو لا يريد للجيل الصاعد العيش في أكذوبة، كما عاشت الأجيال السابقة، لأن مضامينه تحمل أشياء سطحية وبديهية أما الحقائق التي يجهلها الناس لا تكتب وتكون مخفية، والتاريخ العربي يحتقر كل حقيقة ويورثها ويقبلها لخدمة مصالحه.

يريد "منصور" كتابة التاريخ من جديد وتغيير الأفكار الموجودة فيه، ليس تاريخ الملوك لكن تاريخ الناس الذين نسيهم التاريخ والأحداث التي غيرت الحياة لكنها مخفية فهو بذلك يسرح من العمل ثم يلقي به في السجن «تحوّلت قاعة المحاضرات إلى السجن، سجن حقيقي، وتحوّلت كلماتي إلى قطع من جديد الصدى، لم أصدق أنها تصدر عني... أصبحت أُلقي المحاضرات وكأنها واجب ثقيل»<sup>(2)</sup> يشعر "منصور" بأنه لا ينتمي للمجتمع الذي يعيش فيه، وخاصة أنه ذلك المثقف الذي فقد مهنته كما فقد فعالية شهادته وهو يفضل الموت على أن يعيش في مجتمع مبني على الأكاذيب وتضليل الأجيال.

<sup>(1)</sup> الرواية: 287، 288.

<sup>(2)</sup> المصدر نفسه، ص 310.



تسعى السلطات السياسية إلى تهميش الطبقة المثقفة وإسكاتها وذلك من خلال سجنها للحد من أفكارها الخطيرة حسبها أو نفيها من البلاد، لأنها ترى بأن المثقفين يحملون أفكارا يشكلون بها مصدرا من مصادر الخطر على المجتمع، وهي تسعى إلى الحد من نشاطهم وعزلهم وهي بالتالي تقضي على آمالهم وطموحاتهم.

نرى أن الاغتراب الثقافي تجسد في الرواية بشكل كبير وواضح من خلال شخصية " منصور عبد السلام" وما عاناه في مجتمعه وذلك من خلال الأحداث التي تعرض لها من تهميش وتسريح وسجن وهذا ما دفع بالطبقة المثقفة إلى ترك أوطانها والهجرة إلى البلدان الأوروبية بحثا عن الظروف المناسبة للعيش وأيضا تلقيهم للدعم والتشجيع لا للقهر والتهميش.

#### 7- الاغتراب المكاني:

أولى الدارسون عناية كبيرة للمكان الروائي لكونه متداخلاً مع الأنواع الأخرى الإجتماعي النفسي... فالإحساس بالغربة خارج الوطن لا يتوقف عند الشعور بالحنين فقط والعودة إلى الوطن الأصل، وإنما تنبثق عنها صراعات داخلية تتم عن النفس البشرية، كما يمكن للإنسان التعرف على الشخصية الحكائية وجميع الظروف المحيطة بها من خلال المكان الذي تعيش فيه؛ أي أن المكان هو الذي يساهم في تكوين الشخصية، وقد تجسد هذا في أمودجين (إلياس نخلة ومنصور عبد السلام) اللذين تم تفصيل حالتيهما الاغترابية المكانية في رواية "الأشجار واغتيال مرزوق".

عانى "إلياس نخلة" من الاغتراب المكاني سواء كان ذلك داخل قريته من دون النزوح عنها، أو خارجها، فبعد مقامرة إلياس بأشجار والده وخسارته لها، انتقل من مكان سكنه بلدته الطيبة إلى "الجبل" الذي هو كل ما ارتفع عن الأرض وهو مكان موجود في الطبيعة، أما في الرواية فهو مكان للمعاناة وفراق الأهل، حيث انتقل إليه "إلياس" بعد مغادرته لأرض الطيبة، وقضى فيه أربع سنين فاتخذ فيه من المغاور مسكنا له والحيوانات طعامه وشربه من نبع صغير يصل حتى إلى أرض الطيبة، وبعدها عاد إلى القرية لزيارة أمه ورغم محاولاتها له من أجل البقاء إلا

أنه أبي ذلك، ثم عاد مرة أخرى إلى الجبل ولكن هذه المرة لم يبق طويلا في الجبل حتى رجع إلى "الطيبة" وهي بلدة صغيرة يقطن به "إلياس نخلة" والتي تزخر بالآثار التاريخية، حيث يتوافد إليها الزوار من كل الأماكن (الأجانب وأولاد العرب) وهي مكان مثل باقي البلدان الأخرى «يولد فيها الناس ويتزوجون، يحبون ويكرهون، تتناهم المخاوف إذا انقطع المطر»<sup>(1)</sup> ويصفها "إلياس" بالبستان الكبير المليء بالفواكه والخضار لكنها أصبحت قاحلة جرداء بسبب قطع جميع أشجارها من طرف السكان الذين قاموا بغرس أشجار القطن مكانها، ولكن مع مرور الزمن قل الماء وجفت الآبار لانقطاع الغيث بسبب قطع أشجارها فظن أهل الطيبة أن "إلياس" هو ندير شؤم وسبب النحس فقرر البقاء «فحزمت أمرى وقلت سأبقى، ولكن سأكون بعيدا عن الأرض»<sup>(2)</sup>.

استقر "إلياس" في الطيبة وفتح فرنا وهو أول فرن في هذه القرية لكنه لم ينجح فيه لأن أهل القرية لم يشتروا منه الخبز فلم يجد أمامه سوى الرحيل إلى الجهة الشرقية من المدينة طلبا للمال « قلت في نفسي سأترك الطيبة لأهلها وأرحل»<sup>(3)</sup> فعمل هنالك ذهانا وعاملا للبناء لكنه فشل فيه مثل فشله في مهنة الفران، وبعدها عامل في محل البلاط ثم وقاد بـ"الحمام" وهو مكان يغتسل فيه عامة الناس أما في الرواية فمن الأماكن التي اشتغل فيها إلياس لأكثر من سنة، والذي وصفه بالقبو الذي يشبه الجحيم، كان ينزل إليه ويلقي الحطب في الموقد ويتألم لحرقه، لأنه يعتقد أنه من أشجار الطيبة، ومن الحمام انتقل إلى عامل بالقهوة، وبعد انفصاله من عمله بالقهوة انتقل من المدينة إلى القرية وأصبح يعمل هنالك تاجرا بالحمار يشتري ويبيع البضائع، وبعد زواجه من "حنة" وموت العجوز أم "حنة" باع الأرض وقرر العودة إلى الطيبة مع زوجته وحماره سلطان، وأصبح يشتغل في المطحنة، ورغم توزع إلياس إلى أماكن عديدة، إلا أن شعوره بالغبرة والحنين إلى الوطن ظل يلازمه فما يلبث إلا ويرجع له لأن الوطن هو مكان إقامة الإنسان الذي يعبر عن استقراره و انتمائه له، أما في نظر "إلياس" فهو المكان الذي يعمل فيه الإنسان بين الرجال الذين يعرفهم ويحبهم، أما في الرواية فهو «...الأرض؟ التلال الجرداء؟ العيون القاسية

(1) الرواية: ص122.

(2) المصدر نفسه، ص66.

(3) المصدر نفسه، ص66.

التي ينصهر منها الحقد والرصاص وكلمات السخرية؟ الوطن أن يجوع الإنسان؟ أن تتيه في الشوارع يبحث عن عمل ووراء المخبرون»<sup>(1)</sup>، فالإياس هدرت حقوقه وسلبت حريته في وطنه، فدفعه ذلك إلى الانتقال والبحث عن وطن يحتضنه ويدافع عنه ويعطيه حقوقه.

بعد وفاة "حنة" قام بقتل حماره وغير وجهته إلى الشرق نحو المدينة للتخلص من حالة البؤس التي كانت تعتره، وقد عمل هناك في ورشة بناء ثم رصف الطرق ولقد ساقته قدماه مرة أخرى إلى مقهى "أبو دياب" لكنه هذه المرة استقبله في المقهى ونصحه بشراء صندوق لمسح الأحذية، ورغم ذلك ظلت تلاحقه ذكرياته وحياة السعادة التي كان يقضيها مع زوجته "حنة" وحماره سلطان «فإن حوافره الثقيلة سوف تتعب وهي تدوس الأعواد، وحتى إذا مزقها باعد بين رجليه وبال عليها! آه لو كان سلطان حيا الآن... لو كان حيا لما توقف لحظة واحدة: يذهب إلى الطيبة ويعود منها عشرات المرات كل يوم يحمل الغراس والمحراث، يحمل الثمار والعلف، يفعل كل شيء بسعادة وفي المساء يحملني دون أن أقول له كلمة، ويمشي وأنا فوقه أغني، حتى إذا وصلنا وجدنا طعاما جاهزا وقد امتلأ بأنفاس حنة التي لا تنسى!»<sup>(2)</sup>، فالحاجة إلى المال وإلى العمل كانا سببا للاغتراب المكاني والنفسي عند "إلياس".

بعد الأحذية عمل بناء مرة أخرى، ثم بائع يانصيب، فراعى غنم لمدة ثلاث شهور، ثم عمل عملا جديدا في ذباغة الجلود، وبعد ترك عمل الذباغة وبيعه للدكان، انتقل مرة أخرى للطيبة واشترى أرضا هناك وقام بإصلاحها وغرس الأشجار فيها، حيث كان يتفقدتها يوميا ويقوم بسقيها والاهتمام بها حتى تنمو وتكبر يوما بعد يوم، وبعد أن كبرت الأشجار زرع بجانبها بعض الخضار وفي الجانب الغربي القريب من أشجار اللوز زرع بعضا من الحبوب وأصبح يعيش على نتاجها، وبعد تخلية عن الأرض انتقل للعمل في "الفرن" وهو موقد يستعمل أو يستخدم لطهي الخبز وغيره، أما في الرواية فهو فرن "صالح الأعور" كان يشتغل فيه إلياس، حيث يقوم بتحضير العجين ويصنع

(1) الرواية: ص31.

(2) المصدر نفسه، ص119.

منه خبزاً لأهل طيبة، كما كان مأوى لإلياس ينعم فيه بالدفء خاصة في فصل الشتاء، ولما قرر ترك فرن "صالح الأعرور" بدأ العمل من جديد "بالفندق" وهو مكان يسكن فيه الشخص لوقت قصير، أما في الرواية فهو أول نزل للغرباء في الطيبة اسمه "نزل السعادة".

اقتصرت غربة المكان عند "إلياس" على رحيله من مكان لآخر لطلب الرزق والمال، كما ارتبطت بالغربة الاجتماعية، فتشتت العلاقة بين "إلياس" وأهل الطيبة بسبب الأرض والأشجار جعلته يتعد ويعترب عنهم وهذا ما أدى به إلى الغربة المكانية، فبالرغم من معاناة "إلياس" في بلدته الطيبة فالغربة المكانية ظلت مرتبطة بها «يمر أسبوع إلا وأغادر الطيبة ثم أرجع إليها، قد أتركها لقرية قريبة، للجبل، لسفر طويل، ولكن أعود!»<sup>(1)</sup>، فالأمكنة الأخرى لا تتعدى أن تكون مصدراً لتفاقم الشعور بالغربة فما يلبث إلا أن يراوده الحنين للوطن والأهل، فهو شكل معاناة لـ"إلياس" ليس فقط خارج الوطن وإنما كان وحيداً وهو في عقر داره، فالمكان كان له الأثر الكبير في تغيير حياته.

ونجد الاغتراب المكاني واضحاً في حياة "منصور" الذي يغادر أرض الوطن في القطار «منصور يسافر، نعم يسافر، حالة واقعية تماماً. ليس حلماً ولا رغبة كما كانت من قبل. يسافر ليبدأ عملاً جديداً. شعور عميق بالراحة لا يشوبه الإحساس بالفجاعة الذي أحسه ذات يوم»<sup>(2)</sup> يسافر وهو يشعر بالراحة والطمأنينة ومن بين الأدلة التي تؤكد سفره، أنه في القطار و في عربة الدرجة الثانية يجلس باتجاه سير القطار وأمامه كتب موضوعة على الرف الصغير وأيضاً علبة السجائر وهو ينتقل من بلده إلى مكان آخر من أجل العمل والبحث عن لقمة العيش التي أصبحت مستحيلة في وطنه.

(1) الرواية: ص131.

(2) المصدر نفسه، ص275.

يسترجع "منصور" ذكريات سفره الأول عندما ذهب إلى أوروبا لإكمال الدراسة وظل هناك مدة أربع سنوات وبعد انتهاء مدة الدراسة عاد إلى وطنه كأستاذ، ليسافر بعد تسريحه مرة أخرى للعمل في بعثة آثار فهو دائم التنقل من مكان لآخر.

نخلص من خلال دراستنا لرواية "الأشجار واغتيال مرزوق" لـ "عبد الرحمن منيف" أن للاغتراب أنماطاً عديدة ومتداخلة ببعضها البعض وكل منها يكمل الآخر، حيث أدت هذه الأنماط إلى نشوء الشعور والإحساس بالاغتراب، فالاغتراب الاجتماعي ناتج عن الاغتراب السياسي وأن السياسة تعد جزءاً من المجتمع أما فقدان القيم الاجتماعية فيؤدي إلى اغتراب الشخصية عن محيطها وهذا بدوره يولد اضطرابات نفسية تؤدي إلى الشعور بالضياع والحرمان، ما يعني أن أنماط الاغتراب في الرواية متداخلة مع بعضها البعض ولا يمكن عزل كل واحد عن الآخر.

شخصية "إلياس نخلة" و"منصور عبد السلام" شخصيتان تعيشان حالة من الاغتراب الاجتماعي، الديني النفسي، السياسي، المكاني، العاطفي، الثقافي... غير أن اغترابهما كان مختلفاً على حسب التكوين النفسي للشخصية، فهما شخصيتان يائستان محبطتان على الرغم من امتلاكهما أحلاماً كثيرة.



الخاتمة

حاولنا في بحثنا هذا دراسة أنماط الاغتراب في رواية الأديب العراقي "عبد الرحمن منيف"، ويمكن حوصلة

النتائج المتحصل عليها في هذا الجانب فيما يلي:

- وجد الاغتراب طريقه إلى الأدب من خلال الرواية، حيث نرى أن رواية "الأشجار واغتيال مرزوق" من

بين الروايات التي مثلت هذه الظاهرة وجسدها في الواقع.

- عالج لنا الروائي في هذه الرواية حالة الاغتراب التي يعيشها كل من البطلين "إلياس نخلة" و"منصور عبد

السلام"، عن الأهل والأحبة، ومحاولتهما قدر المستطاع الاندماج مع الأوضاع السائدة في مجتمعهما إلا أن

ذكريات الماضي لا تزال تطاردهما كالكابوس الذي أرّق حياتهما.

- عكست الرواية ظاهرة الاغتراب بكل أنماطه الاجتماعية، الدينية، النفسية، السياسية والعاطفية...

- غلب على الرواية الاغتراب النفسي والاجتماعي؛ لأن شخصيات الرواية تمر بمحالات نفسية صعبة

ويرافقها غربة اجتماعية لأنها تعجز عن التفاعل مع أفراد المجتمع.

نلاحظ من خلال دراستنا للرواية أن "عبد الرحمن منيف" استطاع تصوير ظاهرة الاغتراب من خلال

الحديث عن الواقع الاجتماعي السيئ الذي تتخبط فيه الشخصيات، وهذه الرواية نموذج أراد من خلاله التعبير

عن الواقع العربي وما تعيشه الأمم العربية من ظلم وقهر وتسلط وتهميش.

- نجد الأمكنة في الرواية تحمل دلالة على الغربة والشعور بالوحدة والعزلة عن أفراد المجتمع كالسجن

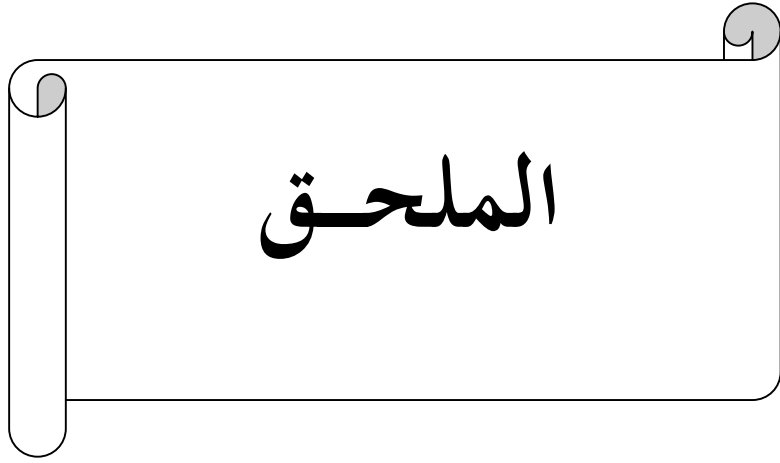
والجبل.

- يعد "عبد الرحمن منيف" حسب رأينا من الروائيين الذين أبدعوا في جنس الرواية، لأنه استطاع توضيح

فكرة الاغتراب للقارئ ولفت انتباهه نحو هذه الظاهرة وأعطاهها معنا واضحا وجليا في الرواية.

- تضمنت الرواية دلالات الغربة والاعتراب سواءا في سرد الأحداث أو سلوك الشخصيات، وكذلك الحوارات التي دارت على ألسنتها، لتبين لنا طبيعة المعاناة التي عايشتها في واقعها الاجتماعي.
- حقق الروائي التفاعل بين القارئ والنص في بناء المعنى من خلال استعمال نقاط الحذف والبياضات التي ترغم القارئ على ملئها من أجل إتمام المعنى وتحقيق المتعة الجمالية، وذلك باستدعاء القارئ لإعمال ذهنه وفك الرموز والغموض الموجود وجعله يشارك في عملية تشكيل نص جديد.
- تدل ثنائية الأنا والآخر في الرواية على وجود القارئ الضمني من خلال الضمائر التي ساهمت في فهم محتوى الرواية.
- عمد الروائي إلى إبراز معاني ودلالات الاعتراب عن طريق الإيحاء والرمز، بداية من العنوان، وذلك من أجل تحبيب أفق انتظار القارئ منذ البداية حتى نهاية الرواية.
- نهاية الرواية مفتوحة تسمح للقارئ بالتدخل والمشاركة في وضع خاتمة لها.





## التعريف بالكاتب "عبد الرحمن منيف"

«ولد "عبد الرحمن منيف" في مدينة عمان- الأردن 29 ماي 1933 لوالد سعودي من نجد وأم عراقية ينتمي والده إلى قرية قصيبا شمال مدينة بريدة بمنطقة القصيم وهو من كبار تجار العُقيلات الذين اشتهروا برحلات التجارة بين القصيم والشمال، بعد إتحائه الدراسة الثانوية في عمان، التحق بكلية الحقوق في بغداد عام 1952 هناك نشط في العمل السياسي المعارض ما أدى إلى طرده عام 1955، فواصل دراسته في جامعة القاهرة، وفي عام 1958 سافر إلى يوغسلافيا وتابع دراسته في جامعة بلغراد، فحصل عام 1961 على شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية، وفي اختصاص: اقتصاديات النفط/ الأسعار والأسواق»<sup>(1)</sup>.

«قدم إلى سوريا بعد حصوله على الدكتوراه وعمل في الشركة السورية للنفط سنة 1962، وفي عام 1973 قصد لبنان وعمل في مجلة "البلاغ"، ثم سافر عام 1975 إلى العراق وتولى تحرير مجلة "النفط والتنمية" حتى عام 1981، حيث غادر العراق إلى فرنسا وتفرغ للعمل الأدبي، في عام 1986 عاد إلى سوريا واستقر في دمشق حيث أقام حتى اليوم الأخير من حياته 24 كانون الثاني 2004 متفرغا للعمل الأدبي ومشاركا في هيئة تحرير "قضايا وشهادات" ( كتاب ثقافي دوري يصدر فصليا)»<sup>(2)</sup>.

أما توجهه الفكري فيصنف "عبد الرحمن منيف" واحدا من كُتاب اليسار العربي، وقد انضم لحزب البعث العربي الاشتراكي أيام كان طالبا بالعراق ونشط فيه، فتسبب ذلك في طرده من العراق بعد توقيع حلف بغداد 1955.

وصف نفسه بالثائر الروائي، وظل واحدا من أشهر المفكرين المعاصرين لمعظم الأنظمة العربية، واعتبره الكثير من الدارسين منفيًا سياسيًا بسبب كتاباته التي انتقد فيها النظام السعودي.

(1) بلقاسم نبيه: الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف، دار الهدى للطباعة والنشر، ط1، 2005، ص19.

(2) المرجع نفسه، ص19، 20.

وفيما يتعلق بتجربته السياسية فقد عُرف بغزارة إنتاجه الأدبي، ووصفه النقاد بأنه قدّم أدبا شجاعا وكتب عن المحرمات في السياسة و ضد القمع واستلاب الحريات والكرامة الإنسانية، وتبرز الأزمة الاجتماعية في رواياته من خلال تركيزه على ظواهر اجتماعية وأنماط محددة في العلاقات المتشابكة بين مختلف الفئات الاجتماعية، وتظهر حدتها في القمع والاستبداد ووضع المرأة واتساع الهوة ما بين الأغنياء والفقراء.

أصدر الكاتب العديد من الأعمال الأدبية أشهرها: الأشجار واغتيال مرزوق، شرق المتوسط، حين تركنا الجسر عالم بلا خرائط بالاشتراك مع "جبرا إبراهيم جبرا"، مدن الملح، كما أصدر كتبها منها: الكاتب والمنفى الديمقراطية أولا، الديمقراطية دائما، لوعة الغياب، العراق هوامش من التاريخ والمقاومة.

حصل "منيف" على جائزة الرواية العربية في المؤتمر الأول للرواية الذي نظّمه المجلس الأعلى للثقافة في مصر، إضافة إلى عدد من الجوائز الأدبية الأخرى ك: جائزة القاهرة للإبداع الروائي وجائزة سلطان العويس بدولة الإمارات العربية المتحدة، وقد ترجمت معظم كتبه إلى خمسة عشرة لغة الإنجليزية والألمانية والفرنسية والتركية والإسبانية والنرويجية وغيرها<sup>(1)</sup>.

### ملخص الرواية:

قسم "عبد الرحمن منيف" رواية "الأشجار واغتيال مرزوق" إلى قسمين: القسم الأول يبدأ بالسفر والذي يحكي فيه عن تنقل البطل "منصور عبد السلام" في الدرجة الثانية من القطار من أجل البحث على العمل «وأنت في هذه الساعة المتأخرة تتحسس جيوبك للمرة الألف، لتتأكد أن كل شيء موجود: جواز السفر، بطاقة القطار، الشهادة الصحية، الموافقة على العمل»<sup>(2)</sup> مغادرا بلده دون رجعة فيغترب عنه ويبحث عن بلد آخر يعيش فيه وبأويه، ولقاؤه في القطار بشخصية محورية أخرى اسمه "إلياس نخلة" الذي يتجاوب معه على الرغم من الاختلافات

<sup>(1)</sup> محمد رشدي عبد الجبار دريدي: النص الموازي في أعمال عبد الرحمن منيف الأدبية دراسة نقدية تحليلية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، إشراف: عادل الأسطة، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2010، ص746.

<sup>(2)</sup> الرواية: ص17.

والفوارق الموجودة بينهما، الذي يحكي لـ "منصور" قصة حياته كاملة من بداية شغفه وافتتانه « كان عمري. أربعة وعشرون سنة. كنت مفتونا بالقمار. بدأت القضية سهلة، صغيرة، مثلما تبدت أشياء كثيرة في هذه الحياة، حتى أن الإنسان لا يظن وهو يقبل عليها أن حياته ستتغير»<sup>(1)</sup>. وتضييعه للأشجار التي ورثها عن أبيه « كنا نلعب أول الأمر على الجوز، ثم بدأنا نلعب على الدجاج. وجاء يوماً لعبت فيه على العجول الثلاثة التي كانت لدي... ولعبت في النهاية على الأشجار»<sup>(2)</sup> ورغم ذلك يظل متعلقاً بها لأنه الشيء الوحيد الذي كان يربطه بالطبيعة التي شبهها أبوه بالأولاد وأنه لا يوجد كائن في الأرض يستطيع أن يقتل أولاده، ولكن "إلياس" قامر بها « لم أرد أن أقطع الأشجار، فأنا الذي غرستها مع أبي، ومازلت أتذكر كل شيء، كان أبي يقول ونحن نغرس الأشجار: يا إلياس هذه الأشجار مثل الأولاد، أغلي من الأولاد، ولا أظن أن في الدنيا إنسان يقتل أولاده، فاحرص عليها إذا مت، أنا أتركها أمانة في رقبتيك، فإذا قطعت شجرة قبل أوانها فإن جسدي في القبر سوف ينتفض»<sup>(3)</sup>، وبعد قطع أشجاره وخسارته لها، قرّر الانتقام ثم فر للجبل المحادي لبلدته الطيبة واستقر هناك لمدة أربع سنوات حيث بعثوا إليه أكثر من مرة مع أحد الرعاة، ولكنه رفض الرجوع وفي المرة الأخيرة وصله مرسل يبلغه بأن أمه تموت، ثم عاد إلى البلدة خفية أين وجد أمه معافاة، ثم غادر البلدة مرة أخرى دون أن توقفه توسلات أمه، بعدها بثلاث أيام وصله خبر وفاتها، ولم يلبث "إلياس" طويلاً حتى عاد إلى الطيبة من جديد وقام بفتح فرن لكنه فشل فيه وظل ينتقل من عمل لآخر ولكنه لم يُوفق في أي عمل من الأعمال الكثيرة التي مارسها، لأن النحس يرافقه خاصة بعد وفاة زوجته وحماره اللذان خلفا في نفسه مأساة وحالة نفسية لم يستطع تجاوزها والتغلب عليها حتى انتهى به المطاف كمهزّب للملابس، وينتهي هذا القسم بنزول إلياس نخلة من القطار في محطة الحدود.

(1) الرواية: ص 53.

(2) المصدر نفسه، ص 53.

(3) المصدر نفسه، ص 54.

أما في القسم الثاني من الرواية فنجد راوٍ يتحدث لنا عن تجربة "منصور عبد السلام" بضمير الغائب «لقد جاع منصور وتعرب وتعب وهو الآن يركض وراء لقمة الخبز»<sup>(1)</sup>، وبعدها يروي لنا البطل منصور حكايته بداية من يتمه بعد وفاة والده وحكاية سجنه وعلاقاته الفاشلة بكل من حوله، وحديثه عن النساء وعمن أحب في حياته، ولكنهن يتزوجن قبل أن يفاتحهم بالموضوع. وبعدها يسافر إلى أوروبا لإكمال دراسته ثم يعود مرة أخرى إلى المدينة ليعين في الجامعة مدرسا لمادة التاريخ المعاصر « التاريخ قصة طويلة وحزينة، تمتلئ بالكاذب، وقد كانت بهذا الشكل منذ البداية وسوف تستمر هكذا»<sup>(2)</sup>! ولم يستمر في الجامعة لأكثر من ثلاث سنوات حتى سُرح منها لأسباب سياسية، لأنه أراد أن يُفهم طلابه حقيقة التاريخ « التاريخ مجموعة من أكاذيب لفقها أناس محترمون يضعون على أعينهم نظارات طبية سميكة وهؤلاء الناس يتقطعون رواتب كبيرة نتيجة الجهد الذي بدلوه ليسوا كاذبين تماما، إنهم يخدمون هدفا كبيرا، هدفا مهما اسمه الحقيقة»<sup>(3)</sup> ثم بدأ بالبحث عن عمل جديد من أجل العيش؛ لكن جميع الأبواب أُغلقت في وجهه بسبب تسريحه من الجامعة، فلم يبق أمامه حل غير السفر ليذكر معاناته في استخراج جواز السفر الذي يستغرق مدة طويلة « لا أحد يصدق كم انتظرت حتى حصلت على هذه الأوراق اللعينة، نعم لا أحد على وجه الكرة الأرضية يتصور أن أوراقا مثل هذه، لا يكلف إنجازها نصف ساعة، تنظرها أكثر من سنتين»<sup>(4)</sup>.

ثم تحدث عن يومياته التي بدأ بتدوينها عند وصوله إلى موقع العمل كمتراجم وبعدها يعلم من الجرائد خبر اغتيال صديقه مرزوق.

(1) الرواية: ص178.

(2) المصدر نفسه، ص287،288.

(3) المصدر نفسه، ص303.

(4) المصدر نفسه، ص18.

أما الخاتمة فجاءت على لسان صحفي قام بنشر يوميات "منصور عبد السلام" التي قدمها له صاحب الفندق الذي كان ينزل فيه وهو نفسه الذي اتصل بمستشفى المجانين لنقل منصور بعدما أطلق النار على صورته في المرأة منتهيا بالجنون.



# قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، رواية حفص.

أولاً: المصادر

1. عبد الرحمن منيف: الأشجار واغتيال مرزوق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ط. 1989.

ثانياً: المراجع بالعربية

1. إبراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي الجزائري أنموذجا ( 1925 - 1962)، سحب الطباعة الشعبية للجهيش، الجزائر، د.ط، 2007.
2. أحمد علي الفلاحي: الإغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، ط1، 2013.
3. إسكندر نبيل: الاغتراب أزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (مصر)، 1988.
4. أشرف علي دعرور: الغربة في الشعر الأندلسي، دار النهضة، د. ب. ، ط1، 2002.
5. بدر شاكر السياب: ديوان، دار العودة، بيروت (لبنان)، د. ط، 2016.
6. تقي الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج 5، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413 هـ.
7. التلمساني، عفيف الدين سليمان بن علي: منازل السائرين إلى الحق المبين، دار التركي، تونس د.ط. د.ت.
8. توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، د.ب، ط1، 1938.
9. حليم بركات: الإغتراب في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان)، ط1، 2007.
10. خير الله عصار: مبادئ علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1984.



11. ديوان امرؤ القيس: اعتنى به وشرحه عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت(لبنان)، ط 4،  
2004.
12. رجب محمود: الإغتراب سيرة ومصطلح، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1993.
13. سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1،  
2008.
14. سميرة سلامي: الإغتراب في الشعر العباسي القرن 4 هـ، دار الينايع، دمشق، ط 1، 2000.
15. الشافعي: الديوان، تقديم ومراجعة: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.س.
16. صالح الشربوني: الديوان، جمع وتقديم على أحمد بالكثير، الدار المصرية للطباعة، د.ط، د.ب.
17. صالح الطيب: موسم الهجرة للشمال، دار العودة، بيروت(لبنان)، ط 14، 1987.
18. عادل الألوسي: الإغتراب والعبقرية، دار الفكر العربي، مصر (القاهرة)، ط 1، 2003.
19. عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء للطباعة والنشر،  
الإسكندرية، د.ط، 2002.
20. عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الإغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،  
القاهرة(مصر)، د ط، 2003.
21. عمارة لحوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، الدار العربية للعلوم، منشورات الجزائر، ط 2،  
2013.
22. عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث(1945-1962)، منشورات جامعة باتنة،  
الجزائر، د ط د س.
23. عنزة ابن شداد: الديوان، تح: يوسف عبد، دار الجيل، بيروت (لبنان)، د.ط، 2001.

24. فاطمة حميد السويدي: الإغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، ط1، 1991.
25. فيصل دراج: الذاكرة القومية في الرواية العربية في زمن النهضة إلى زمن السقوط، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط1، 2008.
26. فيصل عباس: إغتراب الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، بيروت (لبنان)، ط1، 2008.
27. القاسم نبيه: الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف، دار الهدى للطباعة والنشر، ط21، 2005.
28. ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.
29. كمال الدسوقي: ذخيرة علوم النفس، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988.
30. ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، عالم المعرفة، د.ب، د.ط، 2013.
31. المتنبي: ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت(لبنان)، 1980.
32. محمد إبراهيم الفيومي: ابن ماجه وفلسفة الإغتراب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1998.
33. محمد الهادي بوطاران: الإغتراب في الشعر العربي الرومانسي، دار الكتاب الحديث، الجزائر، د.ط، 2010.
34. محمد راضي جعفر: الإغتراب في الشعر العراقي المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ب، د.ط، 1999.
35. محمود سليم هياجنة: الإغتراب في القصيدة الجاهلية (دراسة نصية)، دار الكتاب الثقافي، الأردن (أريد)، د.ط 2005.

36. مصطفى بوجملين: ومضات نقدية، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة (الجزائر)، ط1،  
2014.
37. النابغة الذبياني: الديوان، تحقيق وشرح: كرم البستاني، مكتبة صادر، بيروت، د ط، د س.
38. نعيمة وابل: الإغتراب عند كارل ماكس (دراسة تحليلية نقدية)، كنوز الحكمة، الأبيار (الجزائر)،  
2013.
39. ابن هشام: السيرة النبوية، مج2، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، لبنان، ط1، 2001.
40. هيام شعبان: السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان، ط1،  
2004.
41. يحيى الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان  
(الأردن)، ط 1 2008.

#### ثالثا: المراجع المترجمة

1. أمين معلوف: ليون الإفريقي، ترجمة: عفيف مشقية، دار الفارابي، بيروت (لبنان)، ط 1، 1990.
2. شاخت: الإغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ط، 1980.

#### رابعا: المعاجم

1. بطرس البستاني: محيط المحيط، مج 6، مكتبة لبنان، بيروت)، ط 1، 2009.
2. الجاحظ: الحيوان، ج 2، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان)، ط 3،.
3. الزمخشري جار الله محمود بن عمر: أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم، شوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون،  
بيروت (لبنان)، ط 1، 1998.
4. \_\_\_\_\_، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998.

5. الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط 2، 2008.
6. الفراهيدي الخليل بن أحمد: كتاب العين معجم لغوي تراثي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، ط 1، 2004.
7. ابن منظور: لسان العرب، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط 1، 1955.
8. \_\_\_\_\_، مج 11، دار صادر، بيروت (لبنان)، ط 4، 2005.

#### خامسا: المجلات

1. مجلة الآداب، ع 3-4، 1981.
2. مجلة آفاق التراث، العدد 33.
3. مجلة دراسات البصرة، ع 14، 2012.
4. مجلة عالم الفكر، ع 2، 1984.
5. مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، ع 13، 2000.
6. مجلة فصول، ع 1، 1983.
7. مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، عدد 07، 1995.

#### سادسا: الرسائل الجامعية

1. أمينة بوعلامات: الإغتراب في الشعر الجزائري الحديث في الفترة (1925-1980)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية ولآدابها، تلمسان (الجزائر)، 2010.

2. عبد القادر توزان: الشعور بالإغتراب عند أبي العلاء المعري وألبير كاموا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في الدراسات الأدبية المقارنة، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها، 2005، 2006.
3. عبده سعيد محمد أحمد الصنعاني: العلاقة بين الاغتراب النفسي وأساليب المعاملة الوالدية لدى الطلبة المعاقين سمعيا في المرحلة الثانوية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم النفس التربوي، جامعة تعز، كلية التربية ، قسم التربية الخاصة، 2009.
4. محمد رشدي عبد الجبار: النص الموازي في أعمال عبد الرحمن منيف الأدبية دراسة نقدية تحليلية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس(فلسطين) 2010.
5. يونس كريمة: الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيف الأكاديمي لدى طلاب الجامعة، دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة مولود معمري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس المدرسي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2012.

# فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
البسمة	
شكر وعرهان	
مقدمة.....أ-ج	
الفصل الأول: مفاهيم حول الاغتراب.....1-44	
1- تعريف الاغتراب.....1	
<b>1-1 لغة:</b> .....1	
أ- في المعاجم العربية.....1	
ب- في اللغة الأجنبية.....3	
ج- في القرآن الكريم والسنة.....5	
1-2 اصطلاحا:.....9	
1-3 الاغتراب في الفلسفة.....9	
1-4 الاغتراب في الأدب.....16	
أ- الرواية.....16	
ب- الشعر.....18	
1-5 الاغتراب في علم النفس.....23	
1-6 الاغتراب في علم الاجتماع.....27	
2- مظاهر وأبعاد الاغتراب.....28	
1-2 العجز.....28	

29.....	2-2 اللامعنى.....
29.....	2-3 اللامعيارية.....
30.....	2-4 العزلة الاجتماعية.....
30.....	2-5 الاغتراب عن الذات.....
31.....	2-6 التمرد.....
32.....	2-7 اللاهدف.....
<b>32.....</b>	<b>3- أنواع الاغتراب.....</b>
32.....	3-1 الاغتراب الاجتماعي.....
34.....	3-2 الاغتراب الديني.....
36.....	3-3 الاغتراب النفسي.....
38.....	3-4 الاغتراب السياسي.....
41.....	3-5 الاغتراب الاقتصادي.....
43.....	3-6 الاغتراب المكاني.....
<b>84-45.....</b>	<b>الفصل الثاني: أنماط الاغتراب في رواية الأشجار واغتيال مرزوق.....</b>
45.....	<b>تمهيد.....</b>
45.....	1- الاغتراب الاجتماعي.....
54.....	2- الاغتراب الديني.....
61.....	3- الاغتراب النفسي.....
69.....	4- الاغتراب السياسي.....



72.....	5- الاغتراب العاطفي.....
77.....	6- الاغتراب الثقافي.....
80.....	7- الاغتراب المكاني.....
85.....	الخاتمة.....
87.....	الملحق.....
92.....	قائمة المصادر والمراجع.....
98.....	فهرس الموضوعات.....

## الملخص:

تعد ظاهرة الاغتراب من أبرز الظواهر انتشارا في المجتمعات؛ فهي قضية بالغة الأهمية لكونها أزمة من أزمات الإنسان، وتوجد هذه الظاهرة حيث ما يوجد أفراد يشعرون بتفردهم وتميز شخصياتهم بالعجز عن التجاوب مع الأوضاع العامة السائدة في المجتمع الذي يعيشون فيه، والثقافة التي يفترض أن ينتمون إليها ويرفضون القيم العامة أو الشعبية التي تسود في هذه الثقافات التي يتقبلها أفراد المجتمع.

## الكلمات المفتاحية:

الاجتراب، الغربة، التغريب، النزوح، البعد، الأشجار، الاغتياي، الظلم، المعاناة، الإنسان.